

بحث استدلالي في معنى الجمع وعلى يد من جُمع اولاً

الدكتور عبدالرسول الغفاري

بسم الله الرحمن الرحيم

جَمْعُ القُرآن

بحث استدلالي في معنى الجَمْع و علىٰ يدِ مَنْ جُمِع اوّلاً

تأليف

الدكتور عبدالرسول الغفاري

استاذ مادة علوم القرآن في قسم الدراسات العليا

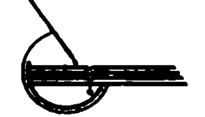
و عضو الهيئة العلمية بجامعة كاشان

غفار، عبد الرسول،
جَمعُ القرآن؛ بحث استدلالي في معنى الجمع وعلى يد من جمع اولاً/ عبد الرسول الغفاري.- قم: انصاريان، ۱۳۸۹ = ۲۰۱۰.
۱۲۸ ص.
ISBN: 978-964-219-144-4
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه بصورت زيرنويس.
۱. قرآن -- جمع و گردآورى. ۲. قرآن -- جمع و گردآورى -- أحاديث. ۳. قرآن -- قرائت -- اختلاف. الف. عنوان.
۸ج۷غ/۴/BP۷۲ ۲۹۷/۱۹
۱۳۸۹ شماره كتابشناسى ملى: ۲۰۹۲۶۶۶

جَمعُ القُرآن

بحث استدلالي في معنى الجمع وعلى يد من جُمع اولاً

تأليف: الدكتور عبد الرسول الغفاري
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الاولىٰ ۱۳۸۹ - ۱۴۳۱ - ۲۰۱۰
المطبعة: قدس
الكمية: ۲۰۰۰ نسخة
عدد الصفحات: ۱۲۸ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي: 978-964-219-144-4 (ISBN)



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ۲۲
ص.ب ۱۸۷
هاتف: ۷۷۴۱۷۴۴ (۲۵۱) (۹۸) فاكس: ۷۷۴۲۶۴۷
البريد الالكتروني: Int_ansarian@yahoo.com&ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

الفهرس

المقدمة

الحمدلله الواحد الاحد الفرد الصمد، يا مَن لم يلد و لم يولد، يا مَن نعت نفسه بقوله ليس كمثله شيء، يا مَن اليه العيون شاخصة في غايتها الرأفة والرحمة، فهي لم تره بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، يا مَن حثّ عباده على التوبة والإنابة فارسل الانبياء مبشّرين ومنذرين وانزل عليهم الصحف والكتب، وهذا كتابه المجيد ناطق بالنصح والإرشاد والخير والسداد، لاريب فيه هدى للمتقين ... ثم الصلاة والسلام على خير الأنام وخاتم الانبياء الكرام، حبيب إله العالمين وسيد المرسلين، المبعوث بالهداية ومنقذ الناس من العماية، ملاذنا ومنقذنا؛ نبيّنا الامجد، مَن اسمه في السماء أحمد و في الارض معروف بابي القاسم محمد، والصلاة والسلام على آله النجباء والصفوة من ولد آدم و حواء، هم حجج الإله المطهّرون و أُمناؤه الأوّلون، فهم السابقون السابقون اولئك هم المقرّبون ثم التحية والثناء على صحبه المنتجبين ومن اهتدى بهديهم الى قيام يوم الدين، وبعد ...

هذه دراسة كتبتها منذ سنين في جمع القرآن، ومن تصدّى له في زمن النبي صلى الله عليه وآله ، والتعريف بمعنى الجمع والآراء التي قيلت، و مايتبع ذلك من

بحوث تمتّ صلة في تدوين القرآن في زمن الرسول ﷺ.

ومعالجة الاخبار التي وردت في كتب القوم في صدد الجمع وبيان المتناقض فيها.

تعتبر هذه الدراسة المدخل الى بحوثنا القرآنية حيث هيّئنا قسماً منها فهي على مشارف الطبع إنشاءالله، كما قدصدّرنا من قبل بحثاً مستقلاً تحت عنوان (الميسّر في علوم القرآن) وهو كتاب منهجي خصّص لطلاب الجامعات والمدارس الاكاديمية والمعاهد الدينية العالية. سائلين المولى أن ينفع به ذوي الاختصاص من طلاب واساتذة، آملاً أن تصدر بحوثنا القرآنية الاخرى تباعاً، بعون الله تعالى و ماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت فهو حسبي ونعم النصير.

المؤلف

عبدالرسول الغفارِي

الفصل الأول

ما المراد من جمع القرآن؟

ما المراد من جمع القرآن؟

إنّ موضوع جمع القرآن يُعدّ من الأبحاث المهمة، وقد كتب فيه الأوائل، وتابعهم السلف إلىٰ أن تشعّبت الدراسات، وتعددت الأقوال، حتىٰ وجدنا في هذا الموضوع عشرات الروايات يعارض بعضها البعض الآخر - وستنكشف لك عن قريب إن شاء الله الأسباب الكامنة وراء هذا التعارض - وربما اختلط الأمر إلىٰ حدٍ كاد الحق يضيع بين تلك الموضوعات، والأكاذيب التي نسجتها دراهم الأمويين وصنائعهم من تجار الحديث.

إنّ تصنيف تلك الروآيات هو تابع لتصنيفنا للباحثين وهم كالآتي:

(١) صنف ادّعى أنّ جمع القرآن - في زمن النبي - كان حِفظاً، وحصر الحفّاظ للقرآن آنذاك في أربعة أو ستة.

(٢) صنف ادّعى أنّ الجمع - في زمن النبي - كان كتابة وأنّ الحفظ أمر مفروغ عنه.

(٣) صنف ادّعى أنّ الجمع الأول قد حصل على يدي أبي بكر أثناء خلافته.

(٤) صنف ادّعى أنّ الجمع قد حصل على يدي الخليفة عمر، وهذا هو الجمع الثاني.

(٥) صنف ادّعى أنّ عثمان هو الذي جمع القرآن، وهذا هو الجمع الثالث.

بين الجمع والقراءة

الصنف الأول: صرّحت جملة من المصادر أنّ القرآن قد جمعه عدة من الصحابة في زمن النبي ﷺ.

من ذلك ما رواه الطبراني وابن عساكر عن الشعبي أنه قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار: أبي بن كعب، زيد بن ثابت، معاذ ابن جبل، أبو الدرداء، سعد بن عبيد، أبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث»[1].

سوف يتضح عن قريب إن شاء الله ما المراد بالجمع، و مَنْ الذي جمعه، وكم هو عددهم..

روى البخاري عن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك: مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟

فقال: أربعة كلهم من الأنصار؛ أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قلت: مَنْ أبو زيد؟

قال: أنس، أحد عمومتي»[2].

أقول: وذكر البخاري في باب فضائل القرآن فقال:

«حدّثنا معلّى بن أسد: حدّثنا عبد الله بن المثنىٰ قال: حدّثني ثابت البناني

---

(١) البرهان للزركشي: ١/ ٢٤١، والإتقان: ١/ ٢٢٦.

(٢) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن ثابت ٣/ ١٣٨٦ حديث رقم ٣٥٩٩ ط ٤، ١٩٩٠ دمشق.

وشمامة عن أنس بن مالك قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد ونحن ورثناه»[١].

قال الزرقاني: «وأبو زيد هذا اسمه قيس بن السكن كما رواه أبو داود بإسنادهِ على شرط الشيخين»[٢].

أقول: هذه الروايات وما شابهها المبثوثة في مصادر الصحاح والسنن والمسانيد وكتب الفضائل والحديث... لا يمكن الأخذ بها لما هناك من روايات أخرى معارضة لها، أوّلاً.

وثانياً: ما المراد من كلمة (جَمَعَ القرآن على عهد النبي أربعة أو خمسة أو ستة...؟)

هل الجَمْعُ بمعنىٰ الحفظ؟ فهناك مئات الصحابة - وليس أربعة - الذين حفظوا القرآن من أوّله إلىٰ آخره، وفي زمن النبي ﷺ !.

وأن رواية زيد بن ثابت في مقتل أهل اليمامة - كان من بين القتلى من الصحابة سبعون قارئاً وحافظاً - تردُّ ما رواه الشعبي وأنس بن مالك..!

أم أنّ الجَمْعَ بمعنىٰ الكتابة؟

فإذا كان المعنيّ من الجَمْع الكتابة فإنّ عشرات من الصحابة كتبوا لأنفسهم بالإضافة إلىٰ محفوظاتهم ولا مبرّر لحصر الكتابة بأربعة أو ستة!

أم أن الجَمْعَ بمعنىٰ حفظ القرآن على قراءة واحدة، وقراءته على قراءة النبي ﷺ كما أنزل..؟

---

(١) المصدر السابق: فضائل القرآن، باب القرّاء من أصحاب النبي ٧ ٤/ ١٩١٣ حديث رقم ٤٧١٨.

(٢) مناهل العرفان: ٢٤٣/١.

فإذا قلنا بهذا الشق الأخير - وهو أقرب إلىٰ الصواب - فإنّ راوي الجمع الشعبي، أو أنس بن مالك وقد أسقطا اسم الإمام عليعليه السلام من هذا الجمع لأن في نفس أنس شيء، وسيرة الرجل - أنس - وانحرافه عن علي بن أبي طالبعليه السلام مكشوفة لذي عينين.

وعليه، كيفما تأوّل القوم في تخريج عبارة (جَمَعَ القرآن على عهد النبي...) فإنّ الإمام علي يكون من أبرز المصاديق من بين أولئك الصحابة الذين تصدّوا لجمع القرآن، سواء كان ذلك الجمع بمعنىٰ الكتابة، أو الحفظ، أو القراءة على النبي بقراءة واحدة صحيحة.

ودليلنا على أن الجمع - بمعنىٰ الحفظ - في زمن النبي لم ينحصر في الأربعة أو الستة وإنما كان على يد جملة من الصحابة نذكر منهم:

(١) في فضائل القرآن لابن كثير أنّ علي بن أبي طالبعليه السلام قد جمعه في زمن النبي صلى الله عليه وآله[1] ؛ أي حفظه، وممّن حفظه:

(٢) سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد.

(٣) أبو الدرداء عويمر من زيد...

(٤) معاذ بن جبل بن أوس.

(٥) أبو زيد، ثابت بن زيد بن النعمان.

(٦) أُبي بن كعب بن قيس.

(٧) عبيد بن معاوية.

---

(١) فضائل القرآن، لابن كثير: ص٢٨.

(٨) زيد بن ثابت بن الضحاك.

(٩) مجمع بن جارية (خارجه) إلا سورتين أو ثلاث.

(١٠) أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث[1].

الجمع زمن النبي صلى الله عليه وآله

يذكر أبو عبيد في (كتاب القراءات) القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فعدّ من المهاجرين.

(١ـ٤) الخلفاء الأربعة.

(٥ـ ٦) طلحة وسعداً.

(٧) عبدالله بن مسعود.

(٨) حذيفة بن اليمان.

(٩) سالم مولىٰ حذيفة.

(١٠) أبا هُريرة الدوسي.

(١١) عبد الله بن السائب.

(١٢ـ١٣) العبادلة: أ. عبد الله بن عباس.

ب ـ عبد الله بن عمر.

(١٤ـ١٥) عائشة وحفصة.

(١٦) أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله .

---

(١) البرهان، للزركشي: ١/ ٢٤١، والاتقان: ١/ ٢٤٨--٢٥٠- والميسّر في علوم القرآن: ص١١٨.

* وعدّ من الأنصار:

(١٧) عبادة بن الصامت.

(١٨) معاذ، أبو حليمة.

(١٩) مجمع بن جاريه.

(٢٠) فضالة بن عبيد.

(٢١) مسلمة بن مَخْلَد.

× وعدّ ابن أبي داود منهم:

(٢٢) تميم الداري.

(٢٣) عقبة بن عامر.

× وعدّ أبو عمر الداني منهم:

(٢٤) أبا موسى الأشعري.

أغلب هؤلاء جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ حفظاً عن ظهر قلب وربما كان البعض منهم قد كتب ما تلقّاه من النبي، فاختص بجمعه كتابةً.

إذاً حصر الجمع بالأربعة أو الستة مكابرة ليس إلا.

ومما يردّ كلام أنس ما صرّح به المازري حيث قال: «لا يلزم من قول أنس - لم يجمعه غيرهم - أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك، لأن التقدير أنّه لا يعلم أنّ سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرّقهم في البلاد»[1].

(١) الاتقان: ١/ ٢٤٥.

وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني بوجوه ثمانية أراد بها توجيه كلام أنس وهي في غاية التكلّف، بينما يضيف ابن حجر وجهاً تاسعاً فيقول: «إنّ المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، لأنّه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج، كما أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة عن أنس، قال: افتخر الحيّان الأوس والخزرج، فقال الأوس منا أربعة: مَنْ اهتزّ له العرش سعد بن معاذ، ومَنْ عَدلت شهادته رجلين خزيمة بن ثابت، ومَنْ غسّلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدَّبر عاصم بن أبي ثابت. فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم، ثم ذكرهم»[1].

إلىٰ هنا اتضح لنا أنّ القرآن كان محفوظاً في الصدور وأنّ الصحابة كان لهم اهتمامٌ كبيرٌ في حفظه وتعلّمه وتعليمه للآخرين، كما أنّ الكثير منهم قد كتب نسخة من المصحف لنفسه كأُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس وأبي الدرداء و...

هذا هو بيان للصنف الأول من التقسيم الخماسي السابق.

ننتقل إلىٰ الصنف الثاني، وهو أصحاب الرأي القائل أن جَمْعَ القرآن كان - كتابة - في زمن النبي صلى الله عليه وآله :

أولاً: تظافرت الروايات - على كثرتها - أن القرآن كان يكتب على خوص النخيل وقطع الحجارة، وعظام أكتاف الابل، والاقتاب ؛ وهو الخشب

(١) الاتقان: ١/ ٢٤٧. حَمِيُّ الدَّبر: هو عاصم بن أبي ثابت الصحابي الأنصاري، أصيب يوم أحد فمنعت النحل الكفار منه وذلك أن المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثّلوا به فسلّط الله عزوجل عليهم الزنابير الكبار تأبر الدارع فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه.

الذي يوضع على ظهر البعير، وكتبوا القرآن على الحرير والرقاع من جلد الماعز أو الإبل، وكتبوا على الرقاق واللخاف والعسب وهو جريد النخل، وهكذا كتبوا على الفخار والكرانيف، وهو أصول سعف النخيل تبقى في الجذع بعد قطع السعف منها، وكتبوا على الشظاظ[١] والأسيار[٢].

جاء في *المستدرك للحاكم النيسابوري* بسنده عن زيد بن ثابت قال: «كنّا عند رسول الله نؤلّف القرآن من الرقاع»[٣].

وقال السيوطي: «أخرج ابن أبي داود من طريق يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر، فقال: من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به.

وكانوا يكتبون ذلك في المصحف والألواح والعُسُب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتىٰ يشهد شاهدان[٤].

وقال أبو شامة: «وكان غرضهم لا يكتب إلاّ من عين ما كُتب بين يدي النبي ﷺ لا مجرّد الحفظ، قال: ولذلك قال في آخر سورة التوبة: (لم أجدها مع غيره)، أي لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنّه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة»[٥].

ذكر ابن النديم تحت عنوان: «الجمّاع للقرآن على عهد النبي ﷺ :

---

(١) الشظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق.

(٢) الميسّر في علوم القرآن: ص١١٧.

(٣) المستدرك: كتاب التفسير، باب جمع القرآن ٢/ ٢٩٩.

(٤) الاتقان، للسيوطي: ١/ ١٨٤.

(٥) المصدر السابق.

علي بن أبي‌طالب (رضوان الله عليه)، سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو ابن زيد (رضي الله عليه)، أبو الدرداء عويمر بن زيد (رضي الله عليه) معاذ بن جبل بن أوس (رضي الله عنه)، أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان، أبي بن كعب ابن قيس بن ملك بن امرئ القيس، عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت بن الضحاك[1].

وقال الشريف المرتضى:

«إنّ القرآن كان على عهد رسول الله مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتىٰ عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له وأنّه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات وكل ذلك يدلّ بأدنى تأمُّل على أنّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث.

ثم ذكر: أنّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدّ بخلافهم فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلىٰ قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم والمقطوع على صحّته»[2].

كيفما كان، إنّ مسألة الجمع تُعدّ من المواضيع المهمّة التي بحثها المؤرّخون قديماً وحديثاً، وقد حاول كل فريق أن ينسب فضيلة (الجمع) إلىٰ أحد الصحابة الأربعة الذين تصدّوا لخلافة المسلمين، ولا يخلو البحث – عند

---

(١) الفهرست، لابن النديم محمد بن إسحاق: ص٣٠ ط. دانشكاه طهران.

(٢) تفسير الصافي، ملا محسن الكاشاني: ١/ ٣٥ المقدمة السادسة، ط. حجرية.

هؤلاء - من المحاباة وإلصاق الفضائل إلىٰ هذا دون ذاك، وربما كان الحبّ الأعمى والعشق اللامحدود هو المصدر في خلق جملة من الفضائل لبعض الصحابة وغضّ الطرف عن كثير من سيئاتهم، وصدق الشاعر لما قال:

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا

فلو حكّمنا العقل والوجدان واتّبعنا الطريق النزيه دون ميل الهوى أو إتباع بغير معروف لكان الواقع المنكشف اليوم غير ما سطّرته الأقلام، هذا أوّلاً.

وثانياً : أنّ مسألة جمع القرآن ترتبط بموضوع صيانته من التحريف والزيادة والنقيصة، وما يتبع ذلك من تبديل وتغيير...

النّبيّ ﷺ يأمر بكتابة المصحف

من السذاجة والتهكُّم إذا قلنا أنّ القرآن لم يجمع على عهد النبي ﷺ وترك أمره إلىٰ المسلمين من بعده، وشأنه شأن الخلافة والإمامة كما يدّعي فريق من المسلمين، أنّها موكولة إلىٰ شورى المسلمين أو ما يتبع ذلك من تفاصيل في اختيار الحاكم.

فالأدلة النقلية والعقلية ترفض هذا وذاك، فبما أنّ الحكومة لازمة والحاكمية تأخذ شرعيتها من المشرّع. وأنّ ترك الرعية بلا راع أمر في غاية التفاهة والسخف، وهكذا شأن القرآن - الذي هو شريعة السماء وحجة الحاكم على المحكوم - لا يمكن لعاقل أن يتصوّر عدم جمعه أو عدم ترتيبه في حياة النّبيّ ﷺ .

وكيف نتصوّر ذلك وأنّ المسلمين قد اهتمّوا غاية الاهتمام بكتاب الله

العزيز، فأكبّوا عليه حفظاً وتعليماً واستنساخاً لآياته وسوره؟ وقد أولوه عنايتهم الكبرى، بل أصبح همّهم الوحيد مدارستهم القرآن واستيعاب أوامره ونواهيه من خلال تدوين كل ما ينزل على النبي صلى الله عليه وآله .

روى السجستاني بإسناده عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تكتبوا عنّي شيئاً سوى القرآن فمن كتب عنّي شيئاً سوى القرآن فليمحُه».[1]

وفي صحيح البخاري، باب من قال لم يترك النبي صلى الله عليه وآله إلا ما بين الدفّتين.[2]

وقال ابن كثير: «حدّثنا قتيبة بن سعد، حدّثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع، قال: دخلت أنا وشدّاد بن معقل على ابن عباس، فقال له شدّاد بن معقل: أترك النبي صلى الله عليه وآله من شيء؟

قال: ما ترك إلا ما بين الدفّتين. قال ودخلنا على محمد بن الحنفية، فسألناه فقال: ما ترك إلا ما بين الدفّتين.

ثم يعقّب ابن كثير فيقول: - ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن، والسنّة مفسرة له ومبيّنة وموضحة أي تابعة له»[3].

قال الرافعي: «اتفقوا على أنّ من كتب القرآن، فأكمله وكان قرآنه أصلاً للقراءات المتأخرة علي بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد

---

(١) المصاحف للسجستاني، ص ٤.

(٢) صحيح البخاري : ١٠٦/٦، و الإتقان للسيوطي : ١٨٩/١.

(٣) فضائل القرآن لابن كثير: ص٩٨.

الله بن مسعود»[1].

وعن علي بن رباح قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وأُبي بن كعب»[2].

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا القرآن وما في هذه الصحيفة»[3].

وعن عبدالله بن عمرو قال: «جمعت القرآن، فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فقال: اقرأه في شهر»[4].

وقد سمّى ابن حبيب الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وهم: «أبو الدرداء، زيد بن ثابت وأبو زيد، وثابت بن زيد، وأُبي، ومعاذ، وسعد بن عبيد»[5].

وروى البخاري بسنده عن ثمامة عن أنس قال: «مات النبي صلى الله عليه وآله ولم يجمع القرآن غير أربعة[6] أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه»[7].

---

(١) بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ص١١٥، ١٢٤.

(٢) تاريخ القرآن، للزنجاني: ٤٧، ومشاهير علماء الأمصار: ص١٢، وتفسير ابن كثير: هامش رقم ٤ ص٢٨.

(٣) تاريخ واسط: ص١٠٢، وكنز العمال: ١٧/ ١٠٥، وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢.

(٤) كنز العمال: ٢/ ٢٠٨، والاتقان: ١/ ٧٢، ومناهل العرفان: ١/ ٢٣٧، ومباحث علوم القرآن: ص١٢٠، وفتح الباري: ٩/ ٤٧.

(٥) الاتقان: ١/ ٧٢، وفتح الباري: ١/ ٤٩، وعمدة القاري: ٢٠/ ٢٧.

(٦) فضائل القرآن لابن كثير: ص٨٧ .

(٧) صحيح البخاري: ٦/ ١٠٣.

بل هناك روايات عديدة من مصادر معتبرة، تؤكّد أنّ الذين جمعوه أكثر من أربعة. من ذلك ما خرّجه البيهقي وابن أبي داود عن الشعبي قال: إنّهم ستة هم أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن خارجة»[١].

وفي الاتقان، أخرج السيوطي عن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرطي أنّ الجامعين خمسة، وذكر منهم عبادة بن الصامت، وأبا أيوب الأنصاري[٢].

وعلى هذا فنحصل أنّ من جملة الجامعين للقرآن في زمن النبي ﷺ هم:

(١) أبو الدرداء عويمر بن مالك (ت ٣٢هـ).

(٢) معاذ بن جبل (٢٠ ق.هـ/ ١٨هـ).

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري (١١هـ ـــ ٤٥هـ).

(٤) أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان.

(٥) أُبي بن كعب بن قيس توفي بالمدينة سنة (٢٢هـ).

(٦) سعد بن عبيد بن النعمان القارئ (ت ١٦هـ).

(٧) مجمع بن خارجة وقيل بن جارية (ت نحو ٥٠هـ).

---

(١) تاريخ القرآن، للزنجاني: ص٢٥.

(٢) الخبر بطولة في الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٢/ ٣٥٦.

قال محمد أبو زهرة في كتابه (المعجزة الكبرى للقرآن): «... أن القرآن كله كان مكتوباً عند الصحابة وإذا كان لم يكن كله مكتوباً عند بعضهم أو عند واحد منهم بعينه فإن ذلك لم يكن منفياً عن جميعهم فهو مكتوب عند جميعهم..» ص٢٨ ط. دار الفكر العربي عام ١٩٧٠م.

(٨) أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد (ت ٥٢هـ).

(٩) عبادة بن الصامت توفي سنة ٣٤هـ بالرملة.

وهناك عشرات الروايات التي خرّجها علماء الأمة التي أكّدت على أنّ القرآن جمعه فلان وفلان من الصحابة وفي زمن النبي ﷺ وهذه الأخبار قد رواها كل من البخاري، وابن أبي داود، والبيهقي، والسيوطي و... الخ.

فلا أدري ما وجه تأويل البعض لكلمة (جمعه) الواردة في بعض النصوص حيث ذهب جملة من مصنّفي الفريقين إلىٰ أنّ كلمة (جَمَعَهُ) في الروايات المذكورة يراد بها (الحفظ).

نقول لهم: من أين سلّمتم بذلك؟ ألِمعنىٰ لغوي نادر؟ ثم إذا أردتم به الحفظ، فذلك مما ينقض قولكم، حيث ادّعيتم أنّ في بئر معونة التي وقعت في السنة الرابعة للهجرة قد استشهد من حفّاظ القرآن من صحابة الرسول أربعمائة قارئاً، ثم ذكرتم أنّ سبعين حافظاً - قارئاً - للقرآن قد استشهد في حرب اليمامة، وهكذا لما استحر الحرب في هذا الموطن ومواطن أخر.

إذن كيف يصدق قولكم من أنّ الذين جمعوا بمعنىٰ (حفظوا) وإنّ الحفّاظ هم أولئك الأربعة أو الخمسة أو الستة التي وردت أسماؤهم في الروايات المزبورة؟!

وعليه: فأما أن نقول أنّ رواية بئر معونة وحرب اليمامة غير صحيحة، وهذا بعيد جداً لما تظافرت فيها الروايات المعتبرة الصحيحة.

وأما أن نقول أنّ الجمع إنما أريد به معنىٰ الجمع الحقيقي أي تأليفه بصورة كاملة. لهذا نجزم بأن الحفّاظ كانوا يعدّون بالمئات زمن النبي ﷺ ولو ادعى

بعضهم أن القرآن لم يجمع زمن النبي ﷺ لاحتمال نزول الوحي، فهذا الإدعاء مردود، وذلك أن ترتيب الآيات أو السور ليس بمانع من نزول الوحي، كما أن نزول آيات أخر لا يعيق ذلك الترتيب، بل من السهولة جداً أن يوصل الجديد بما سبق طالما عرفنا أنّ الوحي كان مكتوباً على قطع متعددة من الأكتاف واللخاف والحرير والأقتاب وغير ذلك فما أيسر إلحاق الجديد بالسابق... وإذا قُدّر أن نزول الوحي كان مستمراً إلىٰ ما قبل وفاة الرسول بلحظات فما المانع من أن يكون الذي تقدّم نزوله جمع ورتّب؟!

نعم يمكن تصوّر الأمر بهذا الشكل أنّه كان في وسائل متعددة وألواح مختلفة أي لم تكن صفحاته على نسق واحدٍ أو من جنس واحد... هذا التصوّر نقبله، وقد جاءت روايات عديدة أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي تصدّى لهذا الأمر كما أنيط به من قبل أن يكتب الوحي بيده وأن يحفظه بنفسه وأنّ الرسول ﷺ دعا له بالحفظ والتسديد لذا حفظه وكتبه زمن النبي ﷺ وسنذكر بعض الروايات في ذلك.

أوّل مَنْ جَمَعَ القرآن

عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس قال: «سمعت سلمان الفارسي يقول : لما أن قبض النبي ﷺ وصنع الناس ما صنعوا جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجرّاح فخاصموا الأنصار فخاصموهم... إلىٰ أن يقول سلمان: فلمّا رأى - علي عليه السلام - عذرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه فلم يخرج من بيته حتىٰ جمعه وكان في الصحف والشظاظ والأسيار والرقاع فلمّا جمعه وكتبه بيده، تنزيله وتأويله، والناسخ

منه والمنسوخ بعث إليه أبو بكر أن أخرج فبايع فبعث إليه علي عليه السلام: إنّي لمشغول، وقد آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي رداءً إلا لصلاة حتىٰ أولف القرآن وأجمعه.

فسكتوا عنه أياماً فجمعه في ثوب واحدٍ وختمه ثم خرج إلىٰ الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى علي عليه السلام بأعلى صوته: أيّها الناس إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتىٰ جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد، فلم يُنْزِل الله على رسول الله آية إلاّ وقد جمعتها، وليست منه آية إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله وعلّمني تأويلها، ثم قال لهم عليّ عليه السلام لئلا تقولوا غداً، إنّا كنّا عن هذا غافلين. ثم قال لهم علي عليه السلام: لا تقولوا يوم القيامة إنّي لم أدعكم إلىٰ نصرتي، ولم أذكّركم حقّي ولم أدعكم إلىٰ كتاب الله من فاتحته إلىٰ خاتمته، فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعونا إليه ثم دخل علي عليه السلام بيته»[1].

روى أبان عن سليمان قال: «رأيت علياً عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان وعنده جماعة يتحدّثون ويتذاكرون الفقه والعلم، وفيهم طلحة، - والخبر طويل نقتطف منه موطن الشاهد - قال طلحة: يا أبا الحسن شيء أريد أن أسألك عنه رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت: يا أيها الناس إنّي لم أزل مشغولاً برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وتكفينه ودفنه، ثم شغلت بكتاب الله حتىٰ جمعته لم يسقط منه حرف، فلم أر ذلك الذي كتبت وألّفت، ورأيت عمر بعث إليك حين استخلف[2] أن أبعث به إليّ فأبيت أن تفعل

(١) كتاب السقيفة لسليم بن قيس: ص٨١ ط. دار الفنون - بيروت ١٩٨٠.

(٢) مصادر الجمهور تذكر أن أبا بكر أمر زيد بن ثابت وعمر أن يجلسا بباب المسجد وقال لهما: «فمن

فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية القرآن كتبهما وما لم يشهد عليه غير رجل واحد رماه ولم يكتبه، وقد قال عمر وأنا أسمع قد قتل يوم اليمامة رجال كانوا يقرؤون قرآناً لا يقرأه غيرهم فذهب وقد جاءت شاة إلىٰ صحيفة وكتّاب عمر يكتبون فأكلتها وذهب ما فيها والكاتب يومئذٍ عثمان فما تقولون؟

وسمعت عمر يقول وأصحابه الذين ألّفوا وكتبوا علىٰ عهد عمر، وعلىٰ عهد عثمان: إنّ الأحزاب تعدل سورة البقرة، والنور ستون ومائة آية، والحجرات ستون آية، والحجر تسعون ومائة آية، فما هذا؟

وما يمنعك يرعك الله أن تخرج ما ألّفت للناس وقد شهدت عثمان حين أخذ ما ألّف عمر، فجمع له الكتاب، وحمل الناس على قراءة واحدة، وفرّق مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار، فما هذا؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا طلحة إنّ كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وكل حلال أو حرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلىٰ يوم القيامة عندي، مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي، حتىٰ أرش الخدش.

قال طلحة: كلّ شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلىٰ يوم القيامة فهو مكتوب عندك؟

قال: نعم، وسوى ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم، يفتح كل باب ألف باب، ولو أنّ الأمة منذ قبض رسول

جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه».

الله ﷺ اتّبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، يا طلحة ألست قد شهدت رسول الله ﷺ حين دعا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضلّ الأمة ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال أنّ نبي الله يهجر فغضب رسول الله ﷺ ؟

قال: بلى قد شهدت.

قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني بالذي أراد أن يكتب فيها ويشهد عليها العامة فأخبره جبرائيل أنّ الله عزوجل قد علم من الأمة الاختلاف والفرقة. ثم دعا بصحيفة فأملىٰ عليّ ما أرد أن يكتب في الكتف، وأشهد عليّ ثلاثة رهط سلمان وأبا ذر والمقداد، وسمّى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلىٰ يوم القيامة، فسمّاني أوّلهم، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد ابني هذا يعني الحسين، كذلك كان يا أبا ذر وأنت يا مقداد؟

قالا : نشهد بذلك على رسول الله ﷺ .

فقال طلحة: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي ذر ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ولا أبر، وأنا أشهد أنّهما لم يشهدا إلا بالحق ولأنت أصدق عندي منهما.

ثم أقبل عليه على طلحة فقال: اتق الله، وأنت يا زبير، وأنت يا سعد، وأنت يا بن عوف، اتقوا الله وآثروا رضَاه واختاروا ما عنده ولا تخافوا في الله لومة لائم.

قال طلحة: ما أراك يا أبا الحسن أجبتني عما سألتك عنه من القرآن ألا تظهره للناس؟

قال: يا طلحة عمداً كففت عن جوابك.

قال الامام: فأخبرني عما كتب عمر وعثمان، أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟

قال طلحة: بل قرآن كله.

قال الامام: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإنّ فيه حجّتنا وبيان حقّنا وفرض طاعتنا.

فقال طلحة: حسبي أما إذا هو قرآن فحسبي.

ثم قال طلحة: فأخبرني عمّا في يدك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام إلىٰ من تدفعه، ومن صاحبه بعدك؟

قال: إلىٰ الذي أمرني رسول الله ﷺ أن أدفعه إليه.

قال طلحة: من هو؟

قال الامام: وصيّ، وأولىٰ الناس بالناس بعدي؛ ابني هذا الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن عند موته إلىٰ ابني هذا الحسين، ثم يصير إلىٰ واحد واحد من ولد الحسين حتىٰ يرد آخرهم على رسول الله ﷺ حوضه هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم»[1]. انظر: الملحق في آخر الكتاب؛ حديث : (الخلفاء من بعدي اثناعشر).

في تفسير القمي عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير

---

(١) كتاب السقيفة لسليم بن قيس: ص١٣٢ ط. دار الفنون عام ١٩٨٠م – بيروت، وتفسير الصافي للمولي محسن المدعو بالفيض الكاشاني : ١/ ٢٦ ط. حجرية.

والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتىٰ أجمعه وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتىٰ جمعه قال: قال الرسول صلى الله عليه وآله: لو أن الناس قرءوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان»(١).

وفيه عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما أحد من هذه الأمة جمع القرآن إلا وصيّ محمد صلى الله عليه وآله»(٢).

وفي الاحتجاج عن أبي ذر أنه لما توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع عليّ القرآن ثم جاء به إلىٰ المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم كما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه.

فأخذه علي عليه السلام وانصرف ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: إنّ علياً جاءنا بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلّف القرآن ونسقط ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلىٰ ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم، وأظهر علي القرآن الذي ألّفه أليس قد بطل ما قد علمتم؟

قال عمر: فما الحيلة؟

قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة.

فقال عمر: ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه فدبّر في قتله على يد

---

(١) تفسير الصافي: ١/ ٢٤.

(٢) المصدر السابق.

خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك فلمّا استخلف عمر سأل علياً عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرّفوه فيما بينهم.

فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت جئت به إلىٰ أبي بكر حتىٰ نجتمع عليه.

فقال عليه السلام: هيهات ليس إلىٰ ذلك سبيل، إنما جئت به إلىٰ أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئتنا به، إنّ القرآن الذي عندي لا يمسّه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي.

فقال عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟

قال علي عليه السلام: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنة عليه»[1].

أقول: هذا -*أولاً* - جملة من الروايات التي تؤكد أنّ جمع القرآن كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله ثم هناك أدلة أخرى نضيفها إلىٰ ما تقدم.

ثانياً: كيف يقبل العقل السوي أنّ النبي صلى الله عليه وآله يرحل من هذا العالم ويترك الأمّة تتخبط في جمع قرآنها فلا تهتدي إلىٰ ذلك حتىٰ يضيع قسم كبير منه في حروب خاضها المسلمون، وهكذا تفقد آيات وسور بموت حفظته ...؟ وأدهى من ذلك؛ أنّ الإهمال واللامبالاة من بعض زوجات النبيّ يكون مدّعاة لفقدان آية أو آيات، إذ الصحيفة التي فيها قرآن قد أكلتها دويبة أو داجن البيت - على حدّ زعمهم - فهل يعقل ذلك؟

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٥٥ ط. ٢ عام ١٩٨٣م مؤسسة الأعلمي - بيروت، وتفسير الصافي: ١/ ٢٧ ط. حجرية.

وهل يوجد شيء أعزّ من كتاب الله عند الرسول فيتركه مفرّقاً بين الحجارة والعظام، أو يتركه طعاماً سائغاً لسخلة عائشة...؟!

ثالثاً: أكّدت طائفة كبيرة من النصوص أنّه ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن مباشرة بعد تلقّي الوحي، فيأمر الكتبة ليدوّنوه، ثم يأمرهم ليعيدوا عليه ﷺ، فإن كان فيه سقط أقامه على أصوله طبقاً للوحي ... واستمر هذا التدوين، والقرآن منذ أيّامه الأولىٰ وحتىٰ أواخر حياة الرسول هو في نظام متّسق، كلّما نزل من القرآن شيء ألحق في موضعه الذي قررّه الرسول لكتّابه، وحينما انقطع الوحي كان المصحف قد كمل بصورته النهائية والمألوفة عند كافة المسلمين.

رابعاً: كان بعض صحابة الرسول يفتخر أنه تلقّى القرآن على يد الرسول ﷺ وأنه جمعه في مصحفه وبإملاء منه ﷺ.

خامساً: أنه ﷺ قد كان هو المباشر في تنظيم وتنسيق آيات وسور القرآن الكريم.

عن زيد بن ثابت قال: «كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سري عنه أدخل عليه بقطعة القتب أو كسرة فاكتب وهو يملي عليّ، فما أفرغ حتىٰ تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن.. فإذا فرغت قال: أقرأ فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه»[1].

وروى الترمذي في سننه عن عثمان قال: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي

---

(١) المعجم الأوسط، للطبراني: ٢/ ٢٥٧، ومجمع الزوائد: ١/ ١٥٢، ٨/ ٢٥٦.

عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نـزل عليـه شـيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة الـتي يـذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة الـتي يذكر فيها كذا»[1].

قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»[2].

سادساً: ذكر أحمد بن حنبل والترمذي والبيهقي والنيسابوري وجمـع غفـير أنّ جملة من الصحابة كانوا يؤلّفـون أي يجمعـون القـرآن مـن تلـك الرقـاع والعُسُب وغيرها على عهد النبي صلى الله عليه وآله من ذلك:

قال الحاكم النيسابوري وهو يروي بسنده عن زيد بن ثابت، قـال: «كنـا عند رسول الله صلى الله عليه وآله نؤلّف القرآن من الرقاع إذ قال رسـول الله صلى الله عليه وآله طـوبىٰ للشام... الخ»[3].

قال الحاكم:

وفيه الدليل الواضح، أنّ القرآن إنما جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

الصنف الثالث من الباحثين، ذهب إلىٰ أنّ الجمع كان على يد الخليفـة الأول؛ أبي بكر.

وهذا الفريق مستنده أنّ الرسول مات ولم يجمع القرآن، بل هو مفرّق بـين

---

(١) سنن الترمذي: ٥/ ٢٧٢ حديث ٣٠٨٦.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري: ٢/ ٢٤١ حديث ٢٨٧٥ وحديث ٣٢٧٢.

(٣) المستدرك : ٢/ ٢٤٩ حديث ٢٩٠٠-٢٩٠١، و٢/ ٦٦٨ حديث ٤٢١٧، ومسند أحمد بن حنبـل: ٥/ ١٥٤ حديث ٢١٦٤٧، وسنن الترمذي: ٥/ ٧٣٤ حديث ٣٩٥٤.

صدور الرجال، وأكتاف الإبل واللخاف والعُسُب والرقاع و... و...

ولما استحر القتل في حرب اليمامة وبئر معونة من قبل، فإنّ الأمة أصبحت تعاني من ذهاب الرجال في سوح الحرب، ومن بينهم أعداد غفيرة من الحفّاظ، فكان من الواجب على الصحابة وعلى رأسهم الخليفة أن يتداركوا هذا الخطر، مما أقدم أبو بكر على جمع القرآن في مصحف واحد.

وقد جنّد الخليفة لهذا الأمر زيد بن ثابت، فجعله يترأس لجنة لها أفراد من الصحابة تقف على باب المسجد تحثّ الناس وكل من كان عنده آية من كتاب الله أو آيتين أو سورة أو... ليأتي بها حتىٰ تلحق بالمصحف المزعم جمعه، فلبّى فريق من المسلمين، وكلّ أتى بما يمتلك من حفظه أو نص مكتوب عنده، ولو شكّ في أمر النص المقروء أو المكتوب فتسوية الخلاف في قبوله وعدمه تخضع لشاهد أو شاهدين.

جاء في كتاب المصاحف، عن هشام بن عروة قال:

لما استحر القتل بالقرّاء فَرَقَ أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت:

اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من القرآن من كتاب الله فاكتباه[1].

وبهذه الطريقة اجتمعت لوائح وصحف ورقاع وحجارة وأكتاف و... الشيء الكثير، فهذا يأتي بآية من سورة التوبة، وذاك يأتي بآيات من سورة البقرة، وثالث يرفد القوم بآيات من أواخر الأحزاب، ورابع يعطيهم آيتين أو

(١) المصاحف، للسجستاني: ص١٢.

ثلاثة من أواسط طه، وخامس يأتي بآيات متفرّقة لسور عدّة، وعليه، فكلّ يسعف اللجنة الفقيرة بما يتصدّق عليها من كيسه أو من عندياته، وربما امتنعت اللجنة المشرفة من قبول ذخيرة البعض، لأنه يفتقر إلىٰ الشاهد أو الشاهدين، فتبقى أمثال سورتي الخلع والحفد عند الخليفة عمر، ويحرم المسلمون من التمتع بقراءتها، إذ تحذف من المصحف الموجود بين أيدي المسلمين[1].

هذا الواقع المرير تعكسه لنا روايات مصادر أهل السنة، ولا نجد من بين الباحثين الغُيارى الذي جنّد قلمه للدفاع عن حريم القرآن والرسول ﷺ إلا النزر القليل، وهم - في الواقع - مَنْ لا يخشون إلا الله، وهذا صنف يندر وجوده في كل زمان ومكان، لأنّ الحق دائماً - في مسيره - يكون بالاتجاه المعاكس للتيار السياسي؛ للحكومات المنحرفة والطواغيت.

كما نعجب من بعضهم عندما تصدّى للبحث عن جمع القرآن، إذ شوّه صحائف كتابه بالزور والبهتان من جانب، وبطمس الحقائق من جانب آخر، فهذا الدكتور محمد عبد الله دراز يدّعي أنّ الرسول ﷺ إلىٰ آخر حياته لم يمتلك نسخة من القرآن المكتوب حتىٰ بالشكل الأوّلي البدائي.

قال: «ومن الجلي أنّ هذه المخطوطات على هيئتها، لم تكن تمثّل مجوعة

---

(١) جاء في الاتقان نقلاً عن المصاحف لابن آشته عن الليث بن سعد قال: «وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل، وإن آخر سورة براءة لم يجدها إلا مع خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين فقال: اكتبوها فإن رسول الله ٧ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب، وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.

للإطلاع ينظر: صحيح البخاري، باب جمع القرآن ٤/ ١٧٢٠ حديث ٤٤٠٢ و٤/ ١٩٠٧ حديث ٤٧٠١ وباب يستحب للكاتب أن يكون أميناً ٦/ ٢٦٢٩ حديث ٦٧٦٨ و٦/ ٢٧٠٠ حديث ٦٩٧٩.

متجانسة ومنظّمة ومرقّمة. وكما أنّ الرسول لم يكن عنده شيء مكتوب، فلم يكن عند الأفراد في هذه الحقبة نسخة واحدة كاملة من القرآن، وإنما كانت المخطوطات متفرقة ومبعثرة بين المؤمنين...»(١).

هذا في الواقع افتراء على ساحة الرسول الأكرم، وانتقاص من صاحب الرسالة.

ولا أدري، كيف غابت عن الدكتور دراز الروايات الكثيرة التي تؤكّد على وجود القرآن عند الرسول ﷺ، وقد أمر قُبيل وفاته علياً أن يحتفظ به ويجمعه في المصحف، علاوة على ذلك، الأدلة المعتبرة التي تردّ مقولة (دراز) وإليك بعضها:

الدليل الأول:

جاء في الطبقات الكبرى، عن أيوب وابن عون عن محمد قال: «نبئت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر، فقال: أكرهت إمارتي؟

فقال عليه السلام: لا، ولكني آليت بيمين أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتىٰ أجمع القرآن.

قال: فزعموا أنه كتبه على تنزيله»(٢).

فمن أين جمع الإمام هذا المصحف؟

ألم تكن أجزاؤه ونسخه عند النبي ﷺ في بيته؟

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد دراز: ص٣٥ در القلم – الكويت عام ١٩٨٤م.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٣٢.

وإلا كيف تدّعي عائشة أن آية الرضاع وآية الرجم كانتا في رقاع تحت سريري فأكلها داجن؟![(١)]

فهذا يعني أن صحائف القرآن المتفرقة - على أقل تقدير- كانت نسخة منها في بيت عائشة.

الدليل الثاني:

قال ابن شهر آشوب: «قال ابن عباس: ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي، وجمعه علي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله بستة أشهر.

وفيه: عن أبي رافع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال - في مرضه الذي توفي فيه - لعلي عليه السلام: يا علي هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه علي في ثوب فمضى إلىٰ منزله فلمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله جلس علي فألّفه كما أنزله الله وكان به عالماً.

وفيه عن علي بن رباح أن النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً بتأليف القرآن فألّفه وكتبه»[(٢)].

وفيه: «قال جبلة بن سحيم عن أبيه عن أمير المؤمنين قال: لو ثنيت لي الوسادة وعرف لي حقي، لأخرجت لهم مصحفاً كتبته، وأملاه علي رسول الله»[(٣)].

---

(١) . لنا مناقشة لهذه الرواية وكلام يأتي في محلّه إنشاءالله.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٢/ ٥٠، انتشارات ذوي القربى ١٤٢١هـ

(٣) المصدر السابق.

وفي جمع الإمام علي عليه السلام يقول الناشئ الصغير[1]:

جامـــع وحـــي الله إذ فـــرقه   مـــن رام جـــمع آيـــة فـــما ضبط

أشـــكله لـــشكلـه بـجـهلــه   فاســـتعجمت أحرفــه حـــين نقــط

وقال العوني[2]:

هــل مثــل جمعـك للقــرآن تعرفــه   نظمــاً ومعـــنى وتـــأويلاً وتبيينـــا

الدليل الثالث:

ومن الأدلة التي تؤكد جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وانه كان عنده كاملاً:

ما رواه أحمد بن حنبل بإسناده عن عثمان بن أبي العـاص قـال: «كنـت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ شخّص ببصره ثم صوبه ثم قال:

أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[3]».

أقول: ما معنىٰ (أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة)؟!

ألا تكون هذه السورة وغيرها من السور ماثلة عند الـنبي صلى الله عليه وآله مجموعـة عنده؟ وإلاّ يكون الكلام لغواً، وحاشى أن يتكلم جبرئيـل بكـلام لا دلالـة له...

(١) الناشيء الصغير: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الوصيف. أنظر الغدير: ٤/ ٢٤-٣٢.

(٢) العوني: أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن أبي عون الغساني العوني، الغدير: ٤/ ١٢٤-١٣٩.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

الدليل الرابع:

روى القرطبي بسنده عن ابن عباس قال: «آخر ما نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1]».

فقال جبرئيل: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومئتين من البقرة.

أقول: ما معنىٰ ضعها في رأس ثمانين و مئتين...؟

ألا يعني أن السورة كانت عند النبي ﷺ في بيته؟

أم تقولون أنها توضع في عالم الخيال... أو انه ﷺ ينادي بالمسلمين الصلاة جامعة حتىٰ ينبّههم على ماكن هذه الاية وأمثالها، مما كان يأتي به الوحي...؟

أم أنه ﷺ كان ينتظر كتبة الوحي حتىٰ يجيئوا فيبحثوا عن تراثهم المبثوث في البيوت ليدخلوا تلك الآية في مكانها المشار إليه...؟!

كل ذلك تخرّص، ووهم من أولئك الجهلة الذين أرادوا أن يرسموا منقبة للخليفة الأولىٰ لكنّهم وقعوا في محذور آخر ألا وهو الإساءة لساحة النبي ﷺ، ووصمهم له باللامبالاة في أمر كتاب الله، معاذ الله عما يصفون.

الدليل الخامس:

هو توافر المصاحف المتداولة عند بعض الصحابة في عهد الرسول ﷺ،

---

(١) سورة البقرة: ٢٨١.

والأخبار مجمعة على صحة وجودها، وعلى تعدد مصاحف الصحابة، فلـولا ذلك الجمع - كتابة - لما عرفنا نوع القراءات، والاختلاف فيما بين الـصحابة أنفسهم.

ثم إنْ لم يكن هناك جمع بالمعنىٰ المتبادر إليه لما كانت تلك المصاحف أصلاً.

وعليه، أن وجودها وعرضها على النّبي ﷺ هو بنفسه دليل على الجمع.

والذي يعضّد ذلك ما أمر به الصحابة في أن يكتبوا عنه، وهذا ما سـطّرته مصادر أهل السنّة، كما ذكره أكثر من واحد من المؤرخين:

جاء عن الخطيب البغدادي في تقييد العلم، والسجـستاني بـسنده عـن أبي سعيد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لا تكتبوا عنّي شيئاً سـوى القـرآن، فمـن كتب عنّي شيئاً سوى القرآن فليمحه»[1].

الدليل السادس:

من الأدلة التي نذكرها في هذا المقـام والـتي تؤكّـد تـدوين القـرآن زمـن النبي ﷺ أن كتّاب الـوحي كـانوا يكتبـون الآيـات بـأمر الرسـول ﷺ في نسختين؛ نسخة يودعونها في بيت النبي ﷺ ونسخة يحتفظون بها لأنفسهم[2].

الدليل السابع:

عرض القراءة والنسخ المكتوبة على الرسول مباشرة.

قال منّاع القطّان: «وكان الصحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم

---

(١) تقييد العلم: ص٢٩، والمصاحف: ص٩، والإتقان: ١/ ٥٧.

(٢) مختصر تاريخ القرآن، الدكتور محمد باقر حجتي: ص٩٦ نقلاً عن المصاحف: ص٥.

من القرآن حفظاً، وكتابة كذلك. ثم قال: ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي ﷺ مجتمعة في مصحف عام، بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وقد نقل العلماء أن نفراً منهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود قد جمعوا القرآن كلّه على عهد رسول الله ﷺ، وذكر العلماء أنّ زيد بن ثابت كان عرضه متأخراً عن الجميع.

وقبض رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف على نحو ما سبق، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حدة، بالأحرف السبعة الواردة، ولم يجمع في مصحف عام، حيث كان الوحي يتنزّل تباعاً فيحفظه القرّاء، ويكتبه الكتبة، ولم تدع الحاجة إلىٰ تدوينه في مصحف واحد...»[1].

وقال الآمدي (ت ٦١٧هـ): «إنّ المصاحف المشهورة في زمن الصحابة كانت مقروءة عليه ﷺ ومعروضة»[2].

الدليل الثامن:

الروايات المتظافرة عن الرسول ﷺ في نهي السفر بالمصاحف إلىٰ أرض الكفر.

روى أبو بكر؛ عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث في كتابه المصاحف تحت عنوان (السفر بالمصاحف إلىٰ أرض الكفر) أكثر من ثلاثين

---

(١) مباحث في علوم القرآن: ص١١١، ط. ٣٥ – بيروت عام ١٩٩٨م.

(٢) تاريخ القرآن، عبدالله الزنجاني: ص٣٩ نقلاً عن كتاب الآمدي (الأفكار والأبكار).

رواية تؤكّد على أنّ النبي ﷺ قد نهى عن حمل المصحف إلىٰ بلاد الكفر، ونحن نقتطف بعضها:

قال: حدّثنا عبد الله، حدّثنا عبد الله بن سعيد، حدّثنا عمران بن عيينة، عن ليث، عن سالم، عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو، وقال: إني أخاف أن يناله العدو».

وفيه: عن نافع، عن ابن عمر أنّ النبي ﷺ قال: «لا تحملوا شيئاً من القرآن إلىٰ بلاد العدو».

وفيه: عن الأوزاعي، قال: «كان النّبي ﷺ ينهى أن يغزى بالمصاحف إلىٰ أرض العدو لكيلا ينالها الكفار...»[1].

لايخفى على اللبيب أن كلمة مصاحف مفردها مصحف و الذي يراد به هذا القرآن المجموع، بخلاف كلمة الصُحف و الذي مفردها صحيفة أي الورقة و النهي الوارد انّما هو على المجموع، والاّ كلمة مصحف لاتطلق على الصحيفة فتأمّل.

الدليل التاسع: روايات الختم والقراءة

روى جمهور السنة في ختم القرآن كل أربعين يوماً مرة أو كل ثلاثين يوماً مرة وهكذا... والرسول ﷺ و المراد من الختم هو قراءة المجموع من القرآن، يخيّرهم وأدنى ما يختم في خمس. والروايات كثيرة فلتطلب في مظانها.

(١) المصاحف: ص٢٠٥-٢١٠، ومسند أحمد: ٧/ ٢٦٦ حديث ٥٤٥، وسنن أبي داود: ١/ ٥٨٧، وشعب الإيمان: ٢/ ٤٢٦ حديث ٢٢٨٨ و٢٢٨٩.

أما قراءة القرآن، ذكر الطبراني في معجمه بسنده عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده قال: «قال رسول الله ﷺ : قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف يضاعف على ذلك إلىٰ ألفي درجة»[١].

أقول: ماذا نفهم من الظرفية (في) هل تعني القراءة على صفحات الهواء..؟!

أم لا تزال إفهام القوم وعقولهم لا تفقه العربية!

الدليل العاشر:

إنّ للمصحف مكاناً في المسجد كان يتعاهده النّبي والمسلمون.

جاء في صحيح مسلم، وفي غيره، عن سلمة بن الأكوع أنه كان يتحرّى موضع مكان المصحف يسبّح فيه، وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرّى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر شاة[٢].

ولا ريب أنّ سلمة وغيره من الناس أنهم كانوا يتحرّون هذا الموضع لكونه المكان المخصوص للمصحف.

الدليل الحادي عشر:

الآيات المؤكّدة على جمعه في الصحف قوله تعالىٰ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو

---

(١) المعجم الكبير: ١/ ٢٢١ حديث ٦٠١، والجامع الكبير، للسيوطي: ١٢/ ٣٩٣٠ حديث ٢٨٤، ومجمع الزوائد، للهيثمي: ٧/ ١٦٥، وشعب الإيمان للبيهقي: ٢/ ٤٠٧ حديث ٢٢١٧-٢٢١٨.

(٢) صحيح مسلم: ٢/ ٥٩، وأخرجه البخاري في صحيحه: ١/ ١٢٧ باختلاف يسير، وابن ماجه في سننه: ١/ ٤٥٩، والطبراني في معجمه: ٧/ ٣٤، والبيهقي في سننه الكبرى: ٢/ ٢٧١.

﴿صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾[1] أي يقرأ قراطيس مطهرة من الباطل، لا يأتيه الريب ولا الشك.

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ × فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ × فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ × مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ × بِأَيْدِي سَفَرَةٍ × كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[2].

أي أنها صحف مقدّسة عند الله منزّهة عن أيدي الشياطين الماردين، قد كتبت بأيدي كتبة اتقياء، وهم الملائكة الأبرار، ثم نزلت على النّبي الأكرم وحياً، فأمر بكتابتها أصحابه.

قال الدكتور محمد علي الحسن الأستاذ بجامعة الملك سعود في الرياض، قسم الثقافة الإسلامية: «كان النّبي يأمر من حضر منهم ـ من الصحابة ـ بالكتابة لما ينزل عليه من القرآن فيكتب الكاتب: أما على العسب أو اللخاف والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله وكان مجموعاً في صحف...»[3].

أقول: هذه بعض ألأدلة أوردناه للردّ على الدكتور محمد عبدالله دراز عندما نفى أن يكون القرآن مجموعاً على عهد النبي كتابة.

---

(١) سورة البينة: ٢.

(٢) سورة عبس: ١١-١٦.

(٣) المنار في علوم القرآن، د. محمد علي الحسن: ص٨٩، دار الأرقم – عمان، ط. ١ عام ١٩٨٣م.

الفصل الثاني

روايات تمسّك بها القوم

روايات تمسّك بها القوم

بقي أن نذكر الروايات التي تمسّك بها القوم في كون أبي بكر هو أول من جمع القرآن، وهي:

الرواية الأولى:

قال أبو بكر في المصاحف: «حدّثنا المطلب عن السدّي عن عبد خَير قال: أوّل من جمع كتاب الله بين اللوحين أبو بكر».

الرواية الثانية:

وفيه بسنده عن عبد الله قال: «حدّثنا هارون بن إسحاق قال: حدّثنا عبدة عن سفيان عن السدّي عن عبد خير قال: رحم الله أبا بكر كان أوّل من جمعه بين اللوحين»[1].

أقول: هذه الرواية والتي قبلها أن سندهما ينتهي إلىٰ (عبد خير) فهو الذي نسب الجمع إلىٰ أبي بكر، وهو الذي ترحّم على أبي بكر، أما الروايات التي فيها ترحيم من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام أو التي نسبت الجمع إلىٰ أبي بكر بشهادة الإمام علي واضحة الكذب، علماً أن أسانيدها - عندنا -

---

(١) كتاب المصاحف: ص١٢.

ضعيفة بل ساقطة عن الاعتبار لأن في طريقها عدّة من الكذّابين والضعفاء والمدلّسين، ومن اتّصف بالخبث والصدّ عن دين الله تعالىٰ.

وعليه هذه الرواية والتي قبلها وما يأتي بعدها لا توافق أصول المذهب من جهة.

ومن جهة ثانية: أن كل راوٍ من رواتها عامّي المذهب ولم توثّقهم أصولنا الرجالية.

ومن جهة ثالثة: أنها ساقطة عن الاعتبار بروايات معارضة لها قد ذكرتها كتب القوم.

ومن جهة رابعة: أن الروايتين، كل منها تنتهي إلىٰ عبد خير.

ومن جهة خامسة: في سند الرواية المتقدمة سفيان الثوري، وسيأتي الكلام فيه.

الرواية الثالثة:

قال أبو بكر السجستاني: «... حدّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا سفيان عن السدّي عن عبد خير عن علي (رضي الله عنه) قال: رحم الله أبا بكر هو أوّل من جمع بين اللوحين»[1].

مناقشة المتن: أنّه متّحد مع الذي سبق من الروايات، حيث المضمون واحد، وهي تنتهي إلىٰ عبد خير، وهكذا في سندها سفيان الثوري وسيأتي الكلام فيهما.

---

(١) المصاحف: ص١١.

الرواية الرابعة:

قال السجستاني: «حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدّثنا سفيان عن السدّي عن عبد خير عن علي قال: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر فإنّه أول من جمع بين اللوحين»[1].

مناقشة المتن: بما أن متن هذه الرواية متّحد مع الروايات السابقة فإنّ مناقشة المتن كما سبق وفي سندها سفيان الثوري، وسيأتي الكلام فيه، كما أنّها تنتهي إلىٰ عبد خير.

الرواية الخامسة:

قال السجستاني: «حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن الحسين بن حفص، قال: حدّثنا خلاّد، قال: حدّثنا سفيان عن السدّي عن عبد خير عن علي قال: رحمة الله على أبي بكر كان أعظم الناس أجراً في جمع المصاحف، وهو أول من جمع بين اللوحين»[2].

مناقشة المتن: كما تقدم في الروايات السابقة في سندها سفيان الثوري، وتنتهي إلىٰ عبد خير.

---

(١) المصاحف: ص١١.

(٢) المصدر السابق: ص١١.

الرواية السادسة:

قال السجستاني: «حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدّثنا قبيصة، قال: حدّثنا سفيان عن السدّي عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين»[١].

الرواية السابعة:

قال السجستاني: «حدّثنا أحمد بن عبد الجبار الدارمي، قال: حدّثنا وكيع عن سفيان عن السدّي عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: رحمة الله على أبي بكر كان أول من جمع بين اللوحين»[٢].

مناقشة المتن: كما تقدم في الروايات السابقة من حيث المضمون واحد، وفي سندها سفيان الثوري وتنتهي إلىٰ عبد خير.

وقال الحاكم في المستدرك: «جُمع القرآن ثلاث مرات:

إحداها: بحضرة النبي ﷺ، ثم أخرج بسندٍ على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع.

الثانية: بحضرة أبي بكر، روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر، بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إنّ عمر اتاني، فقال: إنّ القتل قد استحرّ (أي اشتدّ) بقرّاء

---

(١) المصدر السابق: ص١١.

(٢) كتاب المصاحف: ص١١.

القرآن وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وأنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن.

فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل يراجعني حتىٰ شرح صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك شابٌ عاقل، لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به مِن جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: هو والله خيرٌ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللّخاف وصدور الرجال. ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: (لقد جاءكم رسول...)[1] حتىٰ خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتىٰ توفّاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصه بنت عمر[2].

أخرج هذه الرواية الترمذي في تفسير الآية ١٨ من سورة التوبة.

في مغازي موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: «لمّا أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨-١٢٩.

(٢) الاتقان: ١/ ٢٠٣، وكتاب المصاحف: ١٢-١٦ وفيه سبعة روايات في مضمون واحد.

كان معهم وعندهم، حتىٰ جُمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أوّل من جمع القرآن في الصحف».

قال ابن حجر: «ووقع في رواية عمارة بن غزيّة، أنّ زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبته في قِطَع الأديم والعُسب، فلمّا هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده»[1].

وهناك أحد عشر رواية أخرى ذكرها السجستاني بروايته فراجع[2].

أسانيد هذه الروايات

أقول: في أسانيد هذه الروايات كل من:

المطلب والسدّي وهارون بن إسحاق وعبدة بن سفيان ويعقوب وأبي نعيم وسفيان الثوري وعمر بن شبّه وأبي أحمد الزبيدي وأحمد بن محمد بن الحسين ابن حفص وخلاّد وقبيصة ووكيع...

وهؤلاء ما بين ضعيف أو مجهول أو مدلّس أو يروي المراسيل أو كذّاب... و في سند العديد من الروايات عبد خير.

فمن هو عبد خير؟

هو عنوان مضطرب غاية الاضطراب، ولو تنزّلنا قلنا عنه مشترك بين عدة أشخاص منهم الهمداني والكوفي والمدني والحضرمي والخيواني والخيراني... وإليك ما عثرنا عليه في ضبط هذه الأسماء:

عبد خير بن يزيد، أبو عمارة.

---

(١) كتاب الاتقان: ١/ ٢٠٨.

(٢) كتاب المصاحف: ص١٢-١٦.

عبد خير بن محمد بن حولي: أدرك النبي ولم يلقه، سكن الكوفة.

عبد خير واسمه عبد الرحمن بن يزيد الهمداني.

عبد خير كوفي تابعي.

عبد خير بن يزيد، أو عمارة الكوفي الخيواني.

عبد خير بن يزيد الهمداني من موالي علي بن أبي طالب.

عبد خير بن يزيدالحضرمي وقيل الكوفي وقيل الهمداني.

عبد خير بن محمد، أبو عمارة الكوفي.

عبد خير بن ناجد.

عبد خير بن ناجذ من أصحاب الإمام علي والحسين.

عبد خير بن ناجذ، أبو صادق الأزدي.

عبد خير الخيراني.

عبد خير الخيواني.

هذا التعدد والاشتراك في بعض الخصوصيات دون بعض والاختلاف في ضبط الاسم والكنية واللقب والعصر الذي كان فيه، وفي الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله أو لأحد الأئمة عليهم السلام كل ذلك يدعو إلىٰ التشكيك بكل مرويات (عبد خير)، وربما حتمية البحث تدعونا إلىٰ القول أنّ هذه الشخصية موهومة مفتعلة لا وجود لها، وإنما هي من مختلقات العهد الأموي فتدبّر.

وإليك ترجمة (عبد خير) من أمهات كتب التراجم والرجال.

قال الخطيب:[1] «عبد خير بن يزيد أبو عمارة وقيل هو عبد خير بن محمد بن حولي.. أدرك النبي صلى الله عليه وآله إلا أنّه لم يلقه سكن الكوفة وحدّث بها عن علي بن أبي طالب وكان ممن شهد مع علي حرب الخوارج بالنهروان روى عنه ابن المسيب وأبو إسحاق السبيعي وحبيب بن أبي ثابت وخالد بن علقمة وعطاء بن السائب وأبو حية الهمداني وإسماعيل بن السدي وغيرهم».

وقال: «... حدّثنا عمرو بن علي قال عبد خير اسمه عبد الرحمن بن يزيد الهمداني».

وفيه: «... عن مسهر بن عبد الملك قال: حدّثني أبي قال: قلت لعبد خير كم أتى عليك؟

قال: عشرون ومائة سنة كنت غلاماً ببلادنا باليمن فجاء كتاب النبي صلى الله عليه وآله فنودي في الناس فخرجوا إلىٰ خير واسع فكان أبي فيمن خرج، فلما ارتفع النهار جاء أبي، فقالت له أمي: ما حبسك وهذه القِدر قد بلغت، وهؤلاء عيالك يتضوّرون يريدون الغداء؟

فقال: يا أم فلان أسلمنا فأسلمي واستصبينا فاستصبي.

فقلت له: ما قوله استصبينا؟

قال: هو في كلام العرب أسلمنا وأمرني بهذه القِدر فلتهراق للكلاب وكان ميتة فهذا ما أذكر من أمر الجاهلية».

ثم روى الخطيب البغدادي حديث عبد خير قال: «لما فرغنا من أهل النهر قام علي فقال: يا أيها الناس أن خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر، وبعد أبي

(١). تاريخ بغداد: ١١/١٢٦-١٢٧ ترجمة ٥٨٢٠ .

بكر عمر، ثم أحدثنا أموراً يقضي الله فيها ما يشاء»[١].

وسنده كالآتي: «إبراهيم بن مخلد بن جعفر عن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي عن محمد بن أحمد بن أبي العوام عن موسى بن داود عن أبي الأحوص».

جاء في تهذيب الكمال: «عبد خير بن يزيد الحضرمي الكوفي الهمداني ويقال ابن يحمد أبو عمارة الكوفي روى له أصحاب السنن الأربعة»[٢].

أدرك الجاهلية، وروى عن ابن مسعود وزيد بن أرقم وعلي عليه السلام وعائشة.

وثّقه ابن معين والعجلي كما في (الخلاصة: ص٢٦٩) ووثقه ابن حجر في (التقريب: ص٢٢٥) وعدّه من كبار التابعين.

وعبد خير هذا غير الذي يُعد من أصحاب الإمام أمير المؤمنين والحسين وهو في معجم رجال السيد الخوئي: عبد خير بن ناجذ (ج١٠ ص٣١٠).

وفي اختيار معرفة الرجال للطوسي (ج١ ص١٧): عبد خير بن ناجذ من أصحاب الحسين والإمام علي عليه السلام.

وفي رجال الطوسي عبد خير بن ناجذ، أبو صادق الأزدي (ص٤٨ و في ص ٥٣ عبد خير الخيراني خيران بن همدان).

وفي (خلاصة الأقوال، للحلي: آخر القسم الاول ص١٩٥) عبد خير الخيراني.

---

(١) تاريخ بغداد: ١١/ ١٢٧.

(٢) تهذيب الكمال: ١٦/ ٤٦٩، وتهذيب التهذيب: ٦/ ١٢٤-١٢٥.

وفي رجال ابن داود عبد خير الخيراني (ص١٢٧).

وفي (نقد الرجال، للتفريشي: ج٣ ص٣٨) عبد خير الخيراني.

وفي (جامع الرواة، محمد علي الأردبيلي: ج١ ص٤٤١) عبد خير الخيراني وابن ناجد (ج٢ ص٣٩٣).

وفي (الدرجات الرفيعة: ص٣٨٠) عبد خير الخيراني.

وقال عنه الرازي في (الجرح والتعديل: ج٦ ص٣٧): «قال عثمان بن سعيد قلت ليحيىٰ بن معين: عبد خير؟ فقال: ثقة».

وقال فيه ابن حبان في (الثقات: ج٥ ص١٣١): «عبد خير بن يزيد الكوفي، كنيته أبو عمارة... قد أدرك الجاهلية يروي عن علي روى عنه أهل الكوفة، مات وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة».

وفي (ص١٤٤) قال ابن حبان:

«عبد خير بن يزيد الهمداني من موالي علي بن أبي طالب».

أمّا حديث عبد خير عن علي: «خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر».

قال عنه الدارقطني: «فقد رواه أبو إسحاق السبيعي عن عبد خير حدّث به جماعة منهم سفيان بن عيينه، وإسرائيل بن يونس، ويونس بن أبي إسحاق، ومنصور بن دينار، وأبو بكر بن عياش، وشريك ومالك بن مغول ،وفطر، والعرزمي، وإسماعيل بن مجالد، وسفيان الثوري، ورواه زيد بن

الحباب، وعطاء بن مسلم عن سفيان عن أبي إسحاق عن عبد خير»[١].

أقول: ومن هذه العبارة : (خير هذه الامّة ...) في هذا الحديث وأمثاله نجزم بأن الحديث من صنع بني أمية والاّ لايخلو راوي حديث الجمع المتقدم من طعن.

أما الثوري فقد ترجم له أصحاب الطبقات في الفقه والحديث والتراجم والسيرة، وقد أثنوا عليه وأسهبوا في مدحه حتىٰ نقل الخطيب البغدادي عشرات الأخبار في مدحه وأطنب في ترجمته حتىٰ عدّه في بعض الأخبار أمير المؤمنين في الحديث وأعبد العبّاد وأزهدهم وأعلم الناس فقهاً، وأحفظهم للحديث وسبق الأولين في علمهم حتىٰ سُئل فيه إسماعيل بن إبراهيم: «... كان شعبة أكثر علماً أو سفيان؟ فقال: ما علم شُعبة عند عِلم سُفيان إلا كتفلة في بحر!»[٢].

بل هو- كما ينقله الخطيب - مع السفرة، الكرام البررة، وانه يطير في الجنة كالملائكة من نخلة إلىٰ نخلة...!![٣]

ولم تبق إلا مرتبة الأنبياء، ولو ترك الخطيب و شأنه لقالها بدون تردد، هكذا يعمل الحب في صاحبه حتى يتنكّب طريق الحق فيورده سوء المنقلب.

من هو سفيان الثوري؟

هو ابن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي (توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ).

---

(١) علل الدارقطني: ٤/ ٣٦.

(٢) تاريخ بغداد، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): ٩/ ١٦٥ دار الكتب العلمية الطبعة الثانية عام ١٤٢٥هـ - بيروت.

(٣) المصدر السابق.

في البحار: عن سدير قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج وأخذ بيدي ثم استقبل البيت فقال: يا سدير إنما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيُعْلِمُونا ولا يتهم لنا، وهو قول الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1].

ثم أومئ بيده إلىٰ صدره: (ولايتنا)، ثم قال: يا سدير أَفَأُرِيك الصادّين عن دين الله؟

ثم نظر إلىٰ أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد فقال: «هؤلاء الصّادون عن دين الله بلا هدىً من الله ولا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالىٰ وعن رسوله صلى الله عليه وآله حتىٰ يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالىٰ وعن رسوله صلى الله عليه وآله »[2].

نستخلص من كلام الإمام عليه السلام أن هناك جملة أكاذيب أذاعها سفيان الثوري ومريدوه.

وفي خبر محمد بن مسعود أن الثوري انتقص من الإمام الصادق عليه السلام في موضوع الأثواب وإليك نصّه:

«قال محمد بن مسعود، قال: حدّثني الحسين بن اشكيب، قال: حدّثني الحسن بن الحسين المروزي، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أحمد بن عمر، قال: سمعت بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام يحدّث: أن سفيان الثوري دخل

---

(١) سورة طه: ٨٢.

(٢) البحار: ٤٧/ ٢٢١، ٢٣٢.

على أبي عبد الله عليه السلام وعليه ثياب جياد، فقال: يا أبا عبد الله إن آبائك لم يكونوا يلبسون مثل هذه الثياب!

فقال له: إن آبائي عليهم السلام كانوا في زمان مقفر مقتر، وهذا زمان قد أرخت الدنيا عزاليها، فأحق أهلها بها أبرارهم»[1].

وعن سفيان رويت أخبار قد كذب فيها على الإمام الصادق عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام منها:

عن الكشي قال: «وجدت في كتاب أبي محمد جبريل بن أحمد الفاريابي بخطه، حدّثني محمد بن عيسى، عن محمد بن الفضيل الكوفي، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن الهيثم بن واقد، عن ميمون بن عبد الله قال: أتى قوم أبا عبد الله عليه السلام يسألونه الحديث من الأمصار، وأنا عنده، فقال لي: أتعرف أحداً من القوم؟

قلت: لا.

فقال: فكيف دخلوا علي؟

قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كل وجه لا يبالون ممن أخذوا الحديث.

فقال عليه السلام لرجل منهم: هل سمعت من غيري من الحديث؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فحدّثني ببعض ما سمعت؟

---

(١) رجال الكشي: ٢/ ٦٩١.

قال: إنما جئت لأسمع منك لم أجيء أحدثك.

وقال عليه السلام للآخر: ذاك ما يمنعه أن يحدّثني ما سمعت؟

قال: وتتفضل أن تحدّثني بما سمعت اجعل الذي حدّثك حديثه أمانة لا تحدث به أحداً؟

قال: لا، قال الإمام عليه السلام: فاسمعنا بعض ما اقتبست من العلم حتىٰ نفيدك إن شاء الله.

١. قال الرجل: حدّثني سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد ـ أي الصادق عليه السلام ـ قال: النبيذ كله حلال إلا الخمر، ثم سكت[1].

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

٢. قال: حدّثني سفيان عمّن حدّثه عن محمد ابن علي ـ أي الباقر ـ أنه قال: من لا يمسح على خفّيه فهو صاحب بدعة، ومن لم يشرب النبيذ فهو مبتدع، ومن لم يأكل الجريث وطعام أهل الذمة وذبايحهم فهو ضال، أما النبيذ فقد شربه عمر نبيذ زبيب فرشحه بالماء، وأما المسح على الخفين، فقد مسح عمر على الخفين ثلاثاً في السفر ويوماً وليلة في الحضر، وأما الذبايح، فقد أكلها علي عليه السلام فقال: كلوها فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ

(١) الرجل حدّث عن سفيان الثوري عن الإمام الصادق عليه السلام، والإمام مائل عنده ولكن لا يعرفه، فهو يكذب على الإمام الصادق عليه السلام إذ يحتسبه من سائر الناس أو الرواة!

كما ستعرف أنه كذب على الإمام الباقر عليه السلام وعلى أمير المؤمنين علي عليه السلام.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾(١) ثم سكت.

فقال أبو عبد الله ﷺ: زدنا.

فقال: قد حدّثتك بما سمعت.

قال: أكلُّ الذي سمعت هذا؟

قال: لا.

قال ﷺ: زدنا.

٣. قال: حدّثنا عمر بن عبيد، عن الحسن ـ البصري ـ قال: «أشياء صدق الناس بها وأخذوا بما ليس في الكتاب لها أصل، منها عذاب القبر، ومنها الميزان، ومنها الحوض، ومنها الشفاعة، ومنها النيّة ينوي الرجل من الخير والشر فلا يعمله فيثاب عليه، ولا يثاب الرجل إلا بما عمل إن خيراً فخيرا، وإن شراً فشرا.

قال – ميمون بن عبد الله –: فضحكت من حديثه، فغمزني أبو عبد الله ﷺ أن كف حتىٰ نسمع.

قال: فرفع رأسه إليّ، فقال: ما يضحكك، من الحق أو من الباطل؟

قلت له: أصلحك الله وأبكي؟ وإنما يضحكني منك تعجباً كيف حفظت هذه الأحاديث فسكت.

فقال له أبو عبد الله ﷺ: زدنا.

٤. قال: حدّثني سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، أنه رأى علياً ﷺ

(١) سورة المائدة: ٥.

على المنبر وهو يقول: لئن أتيت برجل يفضّلني على أبي بكر وعمر لأجلدنه حد المفتري.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

٥ . فقال: حدّثني سفيان، عن جعفر ـ أي الصادق ـ أنه قال: حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر.

قال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

٦ . فقال: حدّثني يونس بن عبيد، عن الحسن، أن علياً عليه السلام أبطأ عن بيعة أبي بكر، فقال له عتيق: ما خلفك يا علي عن البيعة، والله لقد هممت أن أضرب عنقك.

فقال له علي عليه السلام: يا خليفة رسول الله لا تثريب، قال: لا تثريب.

قال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

٧. قال: حدّثني سفيان الثوري، عن الحسن، أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يضرب عنق علي عليه السلام إذا سلّم من صلاة الصبح، وأن أبا بكر سلّم بينه وبين نفسه، ثم قال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك.

قال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

٨ . قال: حدّثني نعيم بن عبد الله، عن جعفر بن محمد، أنه قال ودّ علي بن أبي طالب أنه بنُخيلات تينع يستظل بظلهن ويأكل حشفهن ولم يشهد يوم الجمل ولا النهروان، وحدّثني به سفيان.

قال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

٩. قال: حدّثنا عباد، عن جعفر بن محمد، أنه قال: لما رأى علي بن أبي

طالب يوم الجمل كثرة الدماء، قال لابنه الحسن: يا بني هلكت.

قال له الحسن: يا أبة أليس قد نهيتك عن هذا الخروج.

فقال علي عليه السلام: يا بني لم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا المبلغ.

قال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

١٠. قال: حدّثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد أن علياً عليه السلام لما قتل أهل صفين، بكى عليهم ثم قال: جمع الله بيني وبينهم في الجنة.

قال، فضاق بي البيت وعرقت وكدت أن أخرج من مسكي، فأردت أن أقوم إليه وأتوطأه، ثم ذكرت غمزة أبي عبد الله عليه السلام فكففت.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: من أي البلاد أنت؟

قال: من أهل البصرة.

قال عليه السلام: فهذا الذي تحدّث عنه وتذكر اسمه جعفر بن محمد، تعرفه؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فهل سمعت منه شيئاً قط؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فهذه الأحاديث عندك حق؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فمتىٰ سمعتها؟

قال: لا أحفظ. ثم قال: إلا أنها أحاديث أهل مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها.

قال له أبو عبد الله عليه السلام: لو رأيت هذا الرجل الذي تحدّث عنه، فقال لـك هذه التي ترويها عنّي كذب لا أعرفها ولم أحدّث بها هل كنت تصدّقه؟

قال: لا.

قال عليه السلام: لِمَ؟

قال: لأنه شهد على قوله رجال، ولو شهد أحدهم على عنق رجل لجـاز قوله.

قال عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم حدّثني أبي عن جدّي.

قال الرجل: ما اسمك؟

قال عليه السلام: ما تسأل عن اسمي؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خلـق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أسكنها الهواء فما تعارف منها ائتلف هيهنا، ومـا تناكر منها ثم اختلف هيهنا، ومن كذب علينـا أهـل البيـت حـشره الله يـوم القيامة أعمى يهودياً، وإن أدرك الدجال آمن به، وإن لم يدركـه آمـن بـه في قبره.

يا غلام ضع لي ماءً، وغمزني فقال: لا تبرح، وقام القـوم فانـصرفوا وقـد كتبوا الحديث الذي سمعوا منه.

ثم أنه خرج عليه السلام ووجهه منقبض، قال: أما سمعت ما يحدّث به هؤلاء؟

قلت: أصلحك الله ما هؤلاء وما حديثهم؟

قال عليه السلام: عجب حديثهم، كان عندي، الكذب علي والحكاية عنّـي مـا لم أقل ولم يسمعه عنّي أحد، وقولهم لو أنكر الأحاديث ما صدقناه ما لهؤلاء لا

أمهل الله لهم ولا أملى لهم... الخ»[1].

أقول : هذا نموذج واحد من الكذابين من بين العشرات من النماذج المنحرفة التي تعمّدت الكذب على أهل‌البيت٧ فهي صنيعة الثوري و أضرابه. و ليس ببعيد على الثوري طالما هو أحد رجال التدليس.

ولسفيان موقف مشين من الإمام الصادق عليه‌السلام إذ حرّق ما أملاه عليه الإمام عليه‌السلام.

الكافي بسنده عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكة قال: «قال سفيان الثوري: إذهب بنا إلىٰ جعفر بن محمد عليه‌السلام.

قال: فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابّته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في مسجد الخيف.

قال عليه‌السلام: دعني حتىٰ أذهب في حاجتي فإنّي قد ركبت فإذا جئت حدّثتك.

فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لمّا حدّثتني.

قال: فنزل، فقال له سفيان: مُر لي بدواةٍ وقرطاس حتىٰ أثبته، فدعا به ثم قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، خطبة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في مسجد الخيف: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يبلغه، أيّها الناس ليبلّغ الشاهد الغائب فربّ حامل فقهٍ ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه؛ ثلاثٌ لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم:

«إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم.

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٦٩١ مؤسسة آل البيت - قم.

المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم، يسعى بذمّتهم أدناهم.

فكتبه ثم عرضه عليه وركب أبو عبد الله عليه السلام وجئت أنا وسفيان، فلمّا كنّا في بعض الطريق فقال لي: كما أنت حتىٰ أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله عليه السلام رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً.

فقال: وأي شيء ذلك؟

فقلت له: ثلاثٌ لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذي تجب علينا نصحيتهم: معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وكلّ من لا تجوز شهادته عندنا ولا تجوز الصلاة خلفهم؟

وقوله: اللزوم لجماعتهم، فأي الجماعة؟

مرجئ يقول: من لم يصلّ ولم يصم ولم يغتسل من جنابة، وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل...؟!!

أو قدري يقول: لا يكون ما شاء الله عزوجل ويكون ما شاء إبليس...؟!!

أو حروري يبرأ من علي بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر..؟!!

أو جهميّ يقول: إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها..؟!!

قال: ويحك، وأيّ شيء يقولون؟

فقلت، يقولون: أن علي بن أبي طالب والله الإمام الذي يجب علينا نصيحته ولزوم جماعة أهل بيته.

قال: فأخذ - سفيان - الكتاب فخرّقه ثم قال: لا تخبر بها أحداً»[1].

قال ابن حجر في تقريبه: «سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، عابد، إمام حجّة من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربّما دلّس».

أنظر: إلىٰ هذه المهزلة فهو يعترف بأنه يدلّس ومع هذا يعدّه ثقة..!

قال: فخر الدين الطريحي في مادة ثور: «سفيان الثوري كان في شرطة هشام ابن عبد الملك، وهو ممن شهد قتل زيد بن علي بن الحسين عليه‌السلام ، فأما أن يكون ممن قتله، أو أعان عليه، أو خذله»[2].

هذا طرف من ترجمة سفيان الثوري، كما عرفت، وهو أحد رواة الخبر المتقدم في شهادة علي بن أبي طالب عليه‌السلام وترحمه على أبي بكر وانه خير منه... أنّه الكذب المحض،.. إنها أخبار صنعتها أيدي الأمويين.. وروّج لها كبار المدلّسين كسفيان الثوري..

الصنف الرابع من الباحثين؛ الذين نسبوا جمع القرآن إلىٰ الخليفة عمر.

أقول: الروايات في هذا الباب على قلتها، - لا تتجاوز أصابع اليد- فهي ضعيفة سنداً ومتناً.

قال أبو بكر السجستاني:

حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلاّد قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا مبارك عن الحسين أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع

---

(١) البحار: ٢٧/ ٦٩، و٤٧/ ٣٦٥.

(٢) مجمع البحرين: مادة (ثور).

فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف[١].

قال السيوطي:

«إسناده منقطع، والمراد بقوله (فكان أوّل من جمعه) أي أشار بجمعه»[٢].

أقول: لقد أورد السجستاني رواية ابن سيرين تحت عنوان (جمع علي بن أبي طالب (رض) القرآن في المصحف) ثم عقّب على الرواية فقال: قال «أبوبكر – السجستاني – لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو ليّن الحديث، وإنما رووا حتىٰ أجمع القرآن، يعني أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن»[٣] انتهى.

العجيب من السجستاني أنه ينكر استعمال لفظة (المصحف) في رواية ابن سيرين التي تنص على أن الإمام علي عليه السلام قد أبىٰ أن يضع رداءه إلا لجمعة حتىٰ يجمع القرآن.. إذ تأوّل أبو بكر لفظ (الجمع) فقال: «حتىٰ أجمع القرآن يعني حتىٰ أتم حفظه فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع».

غير أن هذا التأويل لم يأت به في رواية ابن خلاّد التي تدّعي أن عمر كان أول من جمعه.

فالزمان واحد، ولغة العرب واحدة، ولا أدري لماذا كان يصر أبو بكر السجستاني في صرف اللفظ من معناه الحقيقي إلىٰ معناه المجازي فيما يخصّ

---

(١) كتاب المصاحف: ص١٦.

(٢) الإتقان: ١/ ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق: ص١٦.

رواية ابن سيرين دون رواية ابن خلاّد؟

فهل أراد أن يثبت فضيلة جمع القرآن في المصحف لعمر دون سواه من بقية الصحابة وبالخصوص الإمام علي عليه السلام؟! الأمر جلي لذي عينين.

وفي رواية أخرىٰ ذكرها ابن الأشعث السجستاني بسنده إلىٰ ابن حاطب[1]، قال: «أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تلقّى من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتىٰ يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه»[2].

لا يخفى أن ذيل العبارة (... فقتل وهو يجمع ذلك إليه) صريحة أن عمر بن الخطاب مات ولم يكمل هذا الجمع وشأنه كصاحبه أبي بكر، إذ رحل من الدنيا ولم يكملاه.

إذا عرفت هذا - وهو تصريح مهم مودع في طيات مصادر أهل السنة - تعال معي لنقف على تصريحات الدكتور محمد دراز الذي نسج الفضائل بعقلية خيالية ومن ثم نسبها للخليفة، قال في كتابه (مدخل إلىٰ القرآن الكريم):

«... ، وبعد جمع القرآن بكل هذه الاحتياطات، سلّمه زيد إلىٰ أبي بكر الذي احتفظ به طوال خلافته وعهد به قبل موته إلىٰ عمر المرشح للخلافة من بعده.

ثم قام عمر بتسليمه إلىٰ ابنته حفصة أم المؤمنين في آخر لحظة من حياته

---

(١) يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب.

(٢) كتاب المصاحف: ص١٧.

لأن الخليفة الثالث لم يكن قد بويع في ذلك الوقت.

ثم قال: وفضلاً عن كماله المطلق يتميز أول مصحف رسمي...».[1]

أقول: من أين جاء به الدكتور (دراز) أن هذا الجمع كان يحمل صفة الكمال المطلق...؟!

إنّه ادعاء دونه خرط القتاد.

ثم بعد أسطر يقول: رغم قيمة هذا المصحف العظيمة ورغم ما يستحقه من العناية التي بذلت في جمعه فإنّ مجرد بقائه محفوظاً بعناية الخليفتين الأولين سبغ عليه الطابع الفردي أو الشخصي بعض الشيء ولم يصبح وثيقة كاملة إلا من يوم نشره.

أقول: إن التهافت في كلام دراز جلي وواضح، فهو أعجز من أن يثبت هذا الجمع لأحدهما فكيف يصنعه بالكمال المطلق...؟

ثم ما الذي دعى الخليفة الأول والثاني إلىٰ هذا الجمع إذا كانا ينويان حبسهما في الصندوق الرئاسي؟!

وإذا كان على وجه الكمال والتمام والصحة والسلامة فلماذا أخذه مروان ابن الحكم وأحرقه ...

ثم الذي أُودِعَ عند حفصة هل هي الصحف المتفرقة أم المصحف؟! و اذا كان المصحف المجموع فهو الآخر الذي أحرق؟

قال السجستاني في المصاحف بسنده عن شعيب عن الزهري: «أخبرني

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم، الدكتور محمد دراز، ص ٣٧ ط اول، الكويت ١٩٧١ م.

سالم ابن عبد الله: أن مروان كان يرسل إلىٰ حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن فتأبىٰ حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلىٰ عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت، فقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب»[1].

ألم يكن عمل مروان مخالفاً لما أقدم عليه الخليفة الأول والثاني، حيث أنهما نويا حفظ القرآن من الضياع والتلف وتلاعب الأيدي، فإذا كان مصحفهما على أكمل وجه كما يدّعيه د. محمد دراز فما عمل مروان إلا خيانة لله وللرسول وللمسلمين.. أو أن نقول أن ذاك المصحف لم يتم نهائياً، ولم يوفّق له الخليفة الأول ولا الخليفة الثاني، إذ عجزا عن جمعه، لذا بقى أشبه بالنظريه، وكم يتمنّى المرء من أمنيات فلا يدركها حتىٰ يوافيه الأجل..

وقبل أن ننهي الحديث عن هذا الصنف الرابع، أودّ أن أسجّل الطريقة التي اتفق عليها الخليفة عمر بن الخطاب مع اللجنة التي ترأسها زيد بن ثابت، ففي هذا المضمار عدة روايات تفصح عن كيفية الكتابة، منها قوله: «لا يملينّ في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف»[2].

وهناك ألفاظ متقاربة لروايات ذكرها ابن الأشعث السجستاني، بسنده عن

---

(١) المصاحف: ص٣٢.

(٢) المصاحف: ص١٧ رواه بسنده عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن معقل عن عمر..

عوف عن عبد الله بن فضالة قال: «لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه، وقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإن القرآن نزل على رجل من مضر»[1].

لا أدري كيف استساغ الخليفة أن يستبدل كلمة النبي بكلمة رجل؟!

وأخيراً، عرفت أن القرآن نزل بلغة قريش، وبلغتهم كُتب. لذا سينتهي الأمر إلىٰ تهافت بقية القراءات التي ليست هي على لغة قريش أو لم يقرّها النبي ﷺ ولم تلق تأييداً من أهل البيت.

الصنف الخامس، أغلب الباحثين يذهبون إلىٰ التركيز على عثمان بن عفان ليصيغوا من شخصيّته بطل (الجمع) وفي أخبارهم ستعرف جملة من الحقائق.

قال الحاكم: والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان.

أقول: وفي ذلك روايات عديدة ذكرها أبو بكر السجستاني في كتابه المصاحف وجلّها تنتهي إلىٰ حذيفة بن اليمان[2] كما أن السيوطي ذكر جملة منها في كتابه الاتقان في علوم القرآن[3] وهكذا نقل البخاري في صحيحه[4] بعضها. وقد أشرنا إلىٰ بعضها فيما تقدم.

ولم يبق في صدر الجمع إلا أن نوضّح المعاني المحتملة فيه:

أولاً: قديراد من جمع القرآن هو الحفظ في الصدور

ثانياً: أو جمعه في الألواح والقراطيس والعسب والأكتاف واللخاف و...

---

(١) المصاحف ص١٨.

(٢) المصدر السابق: ص١٨.

(٣) الاتقان: ١/ ٢٠٨.

(٤) صحيح البخاري: باب فضائل القرآن ٤/ ١٩٠٨ حديث ٤٧٠٢.

ثالثاً: أو جمعه بمعنىٰ تصنيف آياته وسوره.

رابعاً: أو جمعه توحيده في مكتوب واحد.

خامساً: أو جمعه توحيده في قراءة واحدة.

سادساً: أو جمعه توحيده كتابة وقراءة.

أقول: لا يخلو المقام من أن القرآن الكريم منذ بدء نزوله وحتىٰ وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان برعاية الله سبحانه وتعالىٰ وفي صيانته وحفظه قال عزّ اسمه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] لكن هذه الرعاية لا تأبىٰ أن يكون الاهتمام من النبي صلى الله عليه وآله ومن بعض الصحابة، حيث كتب أوّلا متفرقاً في قطع من الخشب والجريد والقماش والأكتاف، ثم قيّض الله تعالىٰ له من يجمعه في مصحف واحد، بقراءة واحدة كما نزل، والروايات تؤكّد أنّ هذا الجمع لم يتصدّى له إلاّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد كان عمل القوم، سواء كان في زمن أبي بكر أو عمر أو عثمان عملاً في عرض العمل الأول الذي تصدّى له الإمام علي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. ونستطيع أنّ نقول أن عمل زيد بن ثابت كان تكرارياً.

لذا من الأنسب أن نقول بالشطر الأخير وهو الرأي السادس إذ أنّ الجمع يصدق على الكتابة والقراءة، ولمّا كان الرب واحداً، والنبي واحداً، والدين واحداً، فلابدّ من أن يكون القرآن واحداً، وقراءته واحدة، حتىٰ يوحّد صفوف الناس، ويقيم أودهم، ويجعلهم أمة واحدة أُخرجت للناس، فالمسلمون هم خير أمّة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

---

(١) سورة الحجر: ٩.

هل عثمان جمع القرآن..؟

بعد تلك الجولة السريعة في موضـوع الجمـع ومناقـشة بعـض البـاحثين ونصوصهم، يجدر بنا أن نسأل في آخر المطـاف: أنّ الجمـع الـذي حـصل في زمن عثمان هل كان جمعاً للنسخ المتفرقة من الأصحاب والألواح والأكتـاف والرقاع و... أم أن جمعه كان في منحىً آخر؟

والجواب على هكذا سؤال يبرز عندما نتعقّل النصوص والأخبار الـواردة في هذا الشأن، وهذا التعقل لا يحـصل، إنْ لم يتجـرّد الإنـسان مـن عواطفـه وميولاته المسبقة، بل على المرء أن يغربل الأخبار والروايات حتىٰ يقف على الحقيقة المنشودة.

لا يخفى على اللبيب أنّ جمع عثمان وتوحيده للمصاحف لم يكن بالشكل المطلوب، لأن الأفراد الذين انتدبهم الخليفة لم يكونوا من الكفاءة بمكان. و إنّ عدم جدارتهم لهذا المشروع الضخم أوجد خلافاً آخر لا يقلّ أهميّة عما كان عليه الصدر الأول من الصحابة. فإذا كان الخلاف هناك ينسب إلىٰ الـصحابي - جامع المصحف لنفسه - فهنا أصبح الخلاف ينسب إلىٰ البلد، والىٰ القارئ.

وإنّ القراءة تنسب إلىٰ المجموع، فيقولون قراءة أهل البصرة، وقراءة أهـل الكوفة، وقراءة أهل الشام و... الخ.

إذاً عمل عثمان لم يكن خالياً من الملاحظـات كالتـسرّع والاشـتباه، بـل نفسه الخليفة، يقول: «أرى فيه ـ أي في المصحف ـ شيئاً مـن لحـن سـتقيمه العرب بألسنتها.

ثم قال: أما لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا»[1].

فإذا كان في القرآن – كما صرّح خليفة المسلمين – لحنٌ، فلماذا لا يختلف القرّاء فيما بينهم طالما اللحن باقٍ لم يصحح بعدُ؟!

إنّه من الطبيعي جداً أن يعمل القرّاء اجتهادهم في القراءة، فبعض يلتزم ما في المصحف من نصّ؛ فيقرأ كما هو حتىٰ لو كان مخالفاً للقواعد العربية والفصاحة، ومنهم من يقرأ على سليقته الخاصة، وحسب تذوّقه للبلاغة والتزامه بالفصاحة، وهذا لابد من تصحيح النص المقروء، وبالتالي سوف يخالف ما استقر عليه المصحف العثماني.

ثم لا يخفى أن القراءة مصطلح عرفه الصحابة الأوائل، كما أنّ الأوائل كل واحد منهم كان يحتفظ لنفسه بنسخة من المصحف كتبها لنفسه وهكذا التزم هؤلاء قراءة تخصّهم وقد تختلف هذه القراءة عن تلك، ونماذج الاختلاف عديدة سنشير إلىٰ بعضها في المكان المناسب.

الجدير بالذكر، أنّ الصحابة كما أنّهم اختلفوا في كيفية جمعهم للقرآن وترتيب سوره وآياته فكذلك اختلفوا في قراءته، وقد سرى هذا الاختلاف إلىٰ الأمصار، فلكلّ بلد قراءته الخاصة المنسوبة لذاك الصحابي أو هذا، فأهل البصرة التزموا قراءة أبي موسى الأشعري.

وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة ابن مسعود.

وأهل الشام كانت قراءتهم على قراءة أبي بن كعب.

واستمر الأمر حتىٰ مجيء عثمان بن عفان إلىٰ الخلافة، إذ ازداد الخلاف،

---

(١) المصاحف، لأبي داود: ص٣٢.

وكادت تقع الفتنة بين جند المسلمين بسبب ذلك الاختلاف، وما تنبّه إلى خطر هذا الإختلاف إلاّ حذيفة بن اليمان، والروايات مجمعة على هذه النتيجة.

وما كان من حذيفة إلاّ أن ينفر إلىٰ المدينة مركز الخلافة ليخبر عثمان بهذا الخطر المحدق بين المسلمين، أنه خطر تكفير بعضهم البعض الآخر بسبب التباين في القراءة للنص الواحد.

هذا هو الذي دعى الخليفة - ظاهراً - إلىٰ جمع كلمة المسلمين فأشار على جماعة من الصحابة ليوحّدوا المصاحف والقراءات بقراءة واحدة، ونبذ ما سواها من القراءات وإحراق ما كان عند الصحابة من نسخ وصحف متفاوتة[1].

ولو رجعنا إلىٰ الروايات المسطورة لأدركنا المهمّة التي قام بها حذيفة، وإليك ما ذكره أبو بكر السجستاني: جاء في كتاب المصاحف أن الاختلاف امتد إلىٰ الثغور بين الأجناد فطعن بعضهم بقراءة البعض الآخر، فهال هذا الأمر حذيفة ابن اليمان، وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأشار على عثمان أن يدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، ففزع عثمان لذلك وصمّم على جمع الناس على إمام واحد[2].

وفي رواية أخرى أخرجها ابن آشتة قال:

---

(١) الاتقان: ١/ ١٦٩.

(٢) المصاحف، لأبي داود: ص١٨.

«اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتىٰ أقتتل الغلمان والمعلّمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه، فمن نأى عنّي أشدّ تكذيباً، وأكثر لحناً. يا أصحاب محمد اجتمعوا فأكتبوا للناس إماماً، فاجتمعوا فكتبوا»[1].

هذا الاختلاف الذي ترويه جملة من الأخبار واضح أنه كان في المدينة، مهبط الوحي ومركز الحكومة الإسلامية، وموطن المهاجرين من قريش والأنصار فكيف بنا وتلك الأمصار البعيدة والشعوب الداخلة في الإسلام، وهي ذات عهد جديد به؟!

كيف لا يحصل لهم الاختلاف في القراءة واللحن فيها على اشدّه؟!

لهذا سأل عثمان: «أيّ الناس أفصح؟

قالوا: سعيد بن العاص.

قال: أي الناس أكتَبْ؟

قالوا: زيد بن ثابت.

قال: فليكتب زيد، وليمل سعيد، فكتب مصاحف فقسّمها في الأمصار»[2].

وهذا يعني أن القرآن الذي جمعه عثمان، أُريد بالجمع أي جمع المسلمين على قراءة واحدة، وإلاّ هو كان مجموعاً عند كثير من الصحابة وبنسخ عديدة، كلّ يقرأه حسب لهجته ولغته التي تعلّمها من قومه؛ أهل الفصاحة والبلاغة، قال الحارث بن أسعد المحاسبي من علماء القرن الثالث الهجري:

(١) الاتقان، للسيوطي: ١/ ١٧٠.

(٢) المرشد الوجيز: ص٥٨، وجامع البيان للطبري: ١/ ٦٢.

«والمشهور عند الناس أنّ جامع القرآن عثمان رضي الله عنه ، وليس كذلك، إنّما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام من حروف القراءات والقرآن. وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن»[١].

هذا الذي فعله عثمان؛ وهو عمل مشهور لا ينكره أحد، وقد جمع المسلمين على قراءة واحد، وهو مدعاة لجمع الكلمة وحسم النزاع بين الصحابة والقرّاء.

قال طه حسين: «وليس من شك في أن ما أقدم عليه عثمان من توحيد المصحف وحسم هذا الاختلاف، وحمل المسلمين على حرف واحد، أو لغة واحدة يقرؤون بها القرآن، عمل فيه كثير من الجرأة، ولكن فيه من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجرأة، فلو قد ترك عثمان الناس يقرؤون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة في ألفاظها، لكان هذا مصدر فرقة لا شك فيها...»[٢].

ومما يوآخذ عليه عثمان هو حرقه مصاحف عديدة كانت لجملة من الصحابة، وفي ذلك يوجّه د. طه حسين نقده لعثمان فيقول:

«فقد يكون لنا أن نأسى لتحريق تلك الصحف، لأنه إن لم يكن قد أضاع على المسلمين شيئاً من دينهم، فقد أضاع على العلماء والباحثين كثيراً من العلم بلغات العرب ولهجاتهم، على أن الأمر أعظم خطراً وأرفع شأناً من

---

(١) البرهان، للزركشي: ٩/ ٢٣٩.

(٢) الفتنة الكبرى: ١/ ١٨٢و ١٨٣.

علم العلماء وبحث الباحثين عن اللغات واللهجات...»[١].

ونضيف إلىٰ ما تقدم من الأدلة ما جاء في الاتقان:

«قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سُوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وآله.

وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتىٰ قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدّى ذلك بعضهم إلىٰ تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتّباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وُسّع قراءته بلغة غيرهم، رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أنّ الحاجة إلىٰ ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة»[٢].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار:

«لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وآله، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على مَن يأتي بعد»[٣].

---

(١) المصدر السابق: ١/ ١٨٤.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ١/ ٢١٠ و في طبعة المكتبة الثقافية بيروت ١/ ٥٩.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٢١٠ نقلاً عن الانتصار للباقلاني.

قال الحارث المحاسبي: «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين مَن شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة..»[1].

صنيع عثمان وأهل الأمصار

روى الطبري عن يعقوب بن إبراهيم قال: «حدّثنا ابن عليه، قال: حدّثنا أيوب، عن ابن قلابة، قال: لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتىٰ ارتفع ذلك إلىٰ المعلمين.

قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال: حتىٰ كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عنّي من أهل الأمصار أشدّ فيه اختلافاً وأشدّ لحناً؛ اجتمعوا يا أصحاب محمدٍ فاكتبوا للناس إماماً.

قال أبو قلابة: فحدّثني أنس بن مالك، قال: كنت فيمن يملي عليهم. قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعلّه أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويَدَعُون موضعَها، حتىٰ يجيء أو يُرْسَل إليه. فلما فرغ من المصحف كتب عثمان إلىٰ

---

(١) الاتقان: ١/ ٢١١.

أهل الأمصار؛ إني قد صنعت كذا وكذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم»[١].

مع كل مصحف قارئ

اختار عثمان حُفّاظاً يثق بهم وأنفذهم إلىٰ الأقطار الإسلامية، واعتبر هذه المصاحف أصولاً ثواني مبالغة في الأمر، وتوثيقاً للقرآن ولجمع كلمة المسلمين، فكان يرسل إلىٰ كل إقليم مصحفه مع من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب.

رُوي أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يُقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن أبي شهاب مع الشامي، وأبا عبدالرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري.

ثمّ نقل التابعون عن الصحابة فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم تلقّياً عن الصحابة الذين تلقّوه من فم النبي ﷺ، فقاموا أهل كل مدينة في ذلك مقام الصحابة الذين تلقّوه من فم النبي ﷺ ثم تفرغ قوم للقراءة والأخذ والضبط حتىٰ صاروا في هذا الباب أئمة يرحل إليهم ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم واعتماد روايتهم، ومن هنا نسبت القراءة إليهم[٢].

حاكميّة النصوص في بحث الجمع

---

(١) الطبري جامع البيان: ١/ ٤٥ ط. دار الفكر – بيروت / عام ١٩٩٥م و طبعة دار الكتب العلمية : ٥٠/١.

(٢) مناهل العرفان: ١/ ٣٣٧ وفي طبعة أخرى ص٣٩٦. وشرح مورد الظمآن للمارغني ص١٦ وتهذيب الأسماء للنووري: ١/ ٢٥٧.

ذكر السيوطي، نقلاً عن الحارث ـ بن أسد ـ المحاسبي[١] في كتاب فهم السنن قال: «كتابة القرآن ليست بمحْدَثة، فإنّه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرّقاً في الرقاع والأكتاف والعُسُب، فإنما أمر الصدّيق بنسخها من مكان إلىٰ مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرٌ، فجمعها جامع وربطها بخيط، حتىٰ لا يضيع منها شيء»[٢].

وفي مثل ذلك ما أخرجه النسائي عن عبد الله بن عمر[٣].

نسأل: من هو الجامع الحقيقي..؟

ومتىٰ تم الجمع..؟

دعنا نتابع مصادر القوم في كشف الاسم أو قل الشخصية الرسالية التي أخذت على عاتقها جمع القرآن في زمن النبي ﷺ أبو بُعيد وفاته.

قال السيوطي: «قد ورد من طريق ابن الضُرَيس[٤] في فضائله: حدّثنا بشر ابن موسى، حدّثنا هوذة بن خليفة، حدّثنا عون، عن محمد بن سيرين، عن عكرمة، قال: لما كان بعد بيعة أبيبكر قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرِهتَ بيعتي؟

قال: لا، والله.

قال: ما أقعدك عني؟

---

(١) الحارث بن أسد من أكابر الصوفية (ت ٢٤٣هـ).

(٢) الاتقان: ١/ ٢٠٧، وكتاب فضائل القرآن من صحيح البخاري: الباب ٨.

(٣) سنن النسائي: كتاب الصيام ص٧٦-٧٧.

(٤) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن ضُريس.

قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدّثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتىٰ أجمعه.

قال له أبو بكر: فانك نعم ما رأيت.

قال محمد: فقلت لعكرمة ألّفوه كما أنزل الأول فالأول.

قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلّفوه ذلك التأليف ما استطاعوا».

قال السيوطي: «وأخرجه ابن آشته في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه أنه كتب في مصحفه - أي مصحف الإمام علي عليه السلام - الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: فطلبتُ ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلىٰ المدينة، فلم أقدر عليه»[1].

قال أبو بكر السجستاني: «حدّثنا محمد بن اسماعيل الأحمسي قال: حدّثنا ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعةٍ حتىٰ يجمع القرآن في مصحف ففعل فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام أكرهت إماراتي يا أبا الحسن؟

قال: لا والله أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعةٍ فبايعه ثم رجع»[2].

مؤاخذات علميّة

أقول: المؤاخذات على هذه الرواية والتي سبقت كثيرة منها:

---

(١) الاتقان: ١/ ٣٠٤.

(٢) كتاب المصاحف: ص١٦.

أولاً: أنّ الإمام علي عليه السلام قد امتنع عن بيعة أبي بكر طيلة فترة حياة الزهراء عليها السلام ، وأن أغلب مصادر القوم تذكر امتناع بني هاشم عن البيعة لامتناع الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: جُل المصادر التأريخية تؤكّد امتناع طلحة والزبير والعباس بن عبد المطلب وسلمان والمقداد وأبي ذر والأشتر وجمع غفير من الصحابة، وقد كان اجتماع القوم في دار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بمثابة حجب الثقة عن حكومة أبي بكر.

ثالثاً: أكّدت المصادر التأريخية ومنها كتاب الإمامة والسياسة أنّ أبا بكر - وبإيعاز من عمر بن الخطاب - أمر بالهجوم على الدار وتفريق القوم، وإخراج الإمام علي عليه السلام قهراً من الدار، وقوده إلىٰ المسجد كي يبايع....، والكلام طويل ومفصّل فيما جرى بين الإمام علي عليه السلام وعمر في المسجد، وتهديدهم للإمام علي عليه السلام بالقتل إن لم يبايع...

فأجابهم الإمام عليه السلام: «إذاً والله تقتلون عبد الله وأخا رسوله صلى الله عليه وآله ...!».

رابعاً: ثم نسأل كم جمعةٍ حضر الإمام علي عليه السلام ليصلي بصلاة القوم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ؟

خامساً: وكم هي الأيام التي مكث فيها الإمام علي عليه السلام يجمع القرآن حتىٰ كانت مثار حفيظة القوم فاستوحشوا عدم حضوره معهم وعدم مشاركته لمجالسهم؟

سادساً: ألا تكون فصول ومشاهد السقيفة حاكمة على الرواية المتقدمة؟ إذ جميع المصادر تؤكّد علىٰ أنّ الإمام علي 7 امتنع امتناعاً شديداً من الخوض

في هذا المعترك السياسي لكونه في عزاء ومصاب، كما أنّه في شغل عن أصحاب الأطماع والرئاسة طالما النبي ﷺ مسجىً بين يديه، ألا ينبغي على المسلمين تجهيز نبيّهم؟ نعم ليس هناك من أحد يلي غسل النبيّ ﷺ وتكفينه وتجهيزه غير علي بن أبي طالب وعمّه العباس وأفراد من بني هاشم...

سابعاً: إذا سلّمنا بما تقدم - وهو كذلك - فلم يبق مجالٌ أن نساير القوم في طرح هكذا سيناريو بفصوله المفتعلة حيث الحوار بين أبي بكر كخليفة وعلي بن أبي طالب كأحد الرعية السامع المطيع..!

فهل من المعقول أن يجيب الإمام علي على سؤال أبي بكر بهذه الصيغة من التأكيد والقسم..

«أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟

قال: لا والله إلاّ أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعةٍ...».

إنك تجد أن صيغة النفي لا محل لها مطلقاً مع تلك الأحداث التي جرت والضغوط المتتابعة من قبل القوم على الإمام علي عليه السلام، وأنّ أحداث السقيفة لا تزال عالقة في ذهنه الشريف، وأن الأحداث التي مرّت كلها مريرة فكيف يقسم وهو بالأمس كان معارضاً لهم؟

إذاً الأحداث والمشاهد تؤكّد عدم رضى الإمام عليه السلام، بل وكراهيته لكل ما جرى، وإذا كان لابدّ من جواب فالنفي دون تأكيده بالقسم، ثم إنك ترى صيغة القسم بلفظة الجلالة (والله) مع الاستثناء (إلا أني) مقحمة في الجواب وهذا ليس له مساغ أدبي، وعليه فإما أن تكون لفظة الجلالة (القسم) زائدة لكونها مقحمة في الجواب، وإما أن تكون (إلاّ) هي الزائدة...

فيكون القسم الأول تأكيد للقسم الثاني وبالتالي لابدّ من أحـد الخيـارين، والأنسب أن يكون الجواب: (والله أني أقسمت...) أو (إلا أني أقسمت...).

خلاصة البحث

من خلال النصوص والروايات التي نقلها علماء الجمهور، والتناقض الذي ورد في جملة منها، وتهافت بعضها سنداً أو متناً أو سنداً ومتناً يتأكّد لنا أن الجمع كان على يد علي بن أبي طالب عليه السلام للأدلة الآتية:

أولاً: رواية ابن الضُريس... قعد علي بن أبي طالب في بيته، فسأله أبو بكر: ما أقعدك عني؟

قال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه، فحدثت ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتىٰ أجمعه... وقد تقدمت الرواية.

ثانياً: ما أخرجه ابن آشته في المصاحف.[1]

ثالثاً: ما أخرجه السيوطي عن ابن سيرين.[2]

وكلا الروايتين تؤكّد أنّ الإمام علي عليه السلام أوّل من جمع القرآن بعد وفاة النبيّ، وأنّه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، فطلبه ابن سيرين فلم يقدر عليه.

رابعاً: ما أخرجه ابن آشته في المصاحف، بسند صحيح عن محمد بن سيرين، قال: مات أبو بكر ولم يجمع القرآن، وقتل عمر ولم يجمع القرآن.

---

(١) المصاحف لابي داود، ص ١٨.

(٢) الاتقان: ٢٠٥/١، المصاحف، ص ١٦.

والمراد بالجمع كما قال بعضهم: هو جمع المصاحف[١].

خامساً: ما أخرجه أبو بكر السجستاني كما في الرواية السابقة.

سادساً: تهافت روايات - لم يجمع القرآن إلا - الأربعة والخمسة والستة، وراويها أنس بن مالك، وقد علّقنا عليها فراجع.

سابعاً: قال ابن حجر: وقد ورد عن عليّ أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي صلى الله عليه وآله وقد أخرجه ابن أبي داود[٢].

ورب سائل يسأل إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام قد جمع القرآن واتقن عمله فيما جمعه وقد أبىٰ الخليفة الأول والثاني من الرجوع إليه، بل رفضوه، فرجع به الإمام عليه السلام أدراجه إلىٰ البيت، وبقى الأمر مسكوت عنه، فلماذا رفضه القوم في بادئ الأمر؟ و لماذا لم يظهره الإمام عليه السلام عندما تسلّم زمام الأمور بعد عثمان؟

الجواب يكمن في عدة وجوه:

(١) اشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بالحروب والفتن بعد تسلّمه للسلطة، لذا لم يجد مكاناً لنشره ؛ إذ خرجت عائشة تطالب بدم عثمان، وبعد لم ينتهِ من حرب الجمل إذ أشعلها ثانية ابن حرب، وبعد لم تغمد الأسيوف حتىٰ ناهضوه الخوارج.

(٢) الناس - و خاصة المناوون للامام - غير راغبين في قبول ماجمعه ولا ماثلين إلىٰ أخذه، إذ يروى أنه منع صلاة التراويح المبتدعة فنادوا عليه

---

(١) الاتقان: ١/ ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق.

بالويل والحرب، وصاحوا وا عمراه ولا عمر اليوم، وأرادوا النجوم عليه فامتنع عليه‌السلام من مواجهتهم. فلو أظهر القرآن لقالوا وا عثماناه ولا عثمان اليوم، كما أن بعضهم قد اتهمه بقتل عثمان والبعض الآخر إدّعى أنّه شريك لأولئك أو مشاورهم... حتى أعلنوها حرباً ضروساً على الامام عليه‌السلام .

من هنا تمادى القوم في ظلمهم الى حدّ الاسراف في القتل فما كان من الامام علي إلاّ أن يبدّد فلول المعتدين من جهة، ويظهر حقيقة الحال ويخطب في القوم ليوضّح لهم الحق من جهة أخرى، ونهج البلاغة مليء بخطبه عليه‌السلام، فلو أظهر القرآن الذي جمعه لقالوا: لو لم يكن له حقد علىٰ عثمان لما خالفه ولما أظهر قرآناً غير قرآنه.

(٣) إنّه رأى من ظاهر حال الجند وأحوالهم -كما شهدت به أفعالهم- أن لاثبات لهم و هم الى الغدد اقرب لانّ قلوبهم معقودة على الإحن، ومحتوية على الضغائن والحقد، وهذا ما شهده في رفع سيوفهم على رأسه إن لم يقبل التحكيم، فكيف يقبلوا منه هذا القرآن؟! وهكذا انطوت عليهم نفوسهم، أضف إلىٰ ذلك ما نجده في نهج البلاغة الذي يكشف عن نوايا جنده وأحوال أصحابه وضمائرهم حتىٰ قال: «لقد ملئتم قلبي قيحاً..».

(٤) إنّ القرآن الذي جمعه عثمان كان قد انتشر في الآفاق واشتهر أمره في البحرين وفارس والشام فضلاً عن الحجاز والعراق ولم تبق بقعة إلا وفيها نسخة منه أو حافظ من ظهر قلب. ولو أتى عليه‌السلام ما جمعه وعرضه على الأمصار والبلدان لصار حينئذٍ القرآن الواحد قرآنين وكتابين على مرور الزمان وكرور الأيام، وعند ذاك لالتبس الأمر على الناس، واشتبه الحق بالباطل ولم يعرفوا أيهما يطابق المنزّل من الله، وأيهما يخالفه، ولم يكن عليه‌السلام

قادراً على أن يمحو آثار السابق بالمرّة؛ كما كان فعل عثمان إذ أحرق القرآن الذي جمعه أبو بكر بعد أن طلب نسخة منه من جميع البلدان النائية والقريبة ولم يبق على وجه الأرض أثراً ولا رسماً، ثم أظهر أن ما جمع من القرآن من أمره ورأيه، ولذا لم يختلف الأمر فيه، لكن مع ذلك ترى الرواة كابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي بن كعب وبنت أبي‌بكر بن أبي قحافة كيف ازدحموا عليه ورَوَوا في حقّه روايات من الحذف والزيادة والقطع والقصر وعكس الترتيب وتقديم الآيات وتأخيرها وتحريف الكلم عن مواضعه.

وربما كان ابن عمر يقول لمن يتقوّل لديه بحفظه: «لا تقولوا حفظت القرآن كله، ذهب القرآن أكثره» كما في كتاب الاتقان للسيوطي والاستيعاب لابن عبد البر المغربي إذ لم يتيسّر له عليه السلام التسلط إلا على عدّة بلادٍ قريبة منه وهي أيضاً لم تبق في يده.

(٥) إنه عليه السلام لو أظهر ذلك القرآن مع بقاء السابق في أيدي الناس وعلى ألسنتهم وفي صدورهم لكانا مختلفين لا محالة لكون أحدهما مطابقاً للمنزّل دون الآخر إجماعاً، لذا تحصل لأهل المذاهب الباطلة والأديان الفاسدة غميزة في الإسلام وأهله، كما نحن نعترض على النصارى لاختلاف أناجيلهم، ونستدل به على أنها ليست كما هي نزلت على عيسى عليه السلام، فهي محرّفة ومختلقة من عند أنفسهم حسب ما اشتهت قلوبهم ومالت إليه نفوسهم، فهذا الاشكال نفسه مدّعاة لهم في الرد علينا ورمي كتابنا بما يريدونه فيما لوتعددت نسخ القرآن، لذا قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ وعند ذلك لم يمكن لأهل الإسلام دفع هذا الأعضال وإزاحة ذلك الإشكال، بل لضاع أمر الإسلام واضمحل، ولظهر قدح في بادئ الأمر

في صحته للاختلاف وتطرق الخلل فيه.

فكان الأصلح والأولىٰ بل من الحصافة أن لا يظهر ماجمعه من القرآن إلا بعد أن تقوى شوكته، ويسلم أمره في جميع الأقطار، وهذا ما لم يتيسّر للإمام عليه السلام حتىٰ ارتحل من الدنيا.

(٦) إنّه عليه السلام لو أظهر الذي جمعه بنفسه فلا يخلو الأمر من أن يكون ذلك مع بقاء السابق بين الناس أو لا؟ وعلى كلا التقديرين كانت هذه المرة هي الثالثة لإخراج القرآن بالصورة التي يعهده المسلمون فإنّ الجامع الأول – كمازُعم – أبوبكر والذي جمعه أرسله إلىٰ البلاد والأمصار المفتوحة، فكان يتلىٰ على ما كان عليه بقية عهده وتمام عهد الخليفة الثاني، وقليل من عهد الخليفة الثالث، إلىٰ أن تراءى لعثمان أن يرتبه ترتيباً جديداً يخالف ترتيب أبي‌بكر – مع حذف وقصر وقلب وتقديم وتأخير مهما دعت إليه نفسه – فكان هذا الجمع والترتيب هو الثاني من نوعه، ثم انه طلب القرآن الذي جمعه أبوبكر من جميع البلدان والأمصار مما كان قد شاع أمره وكان يتلى بالنظر أو بظهر القلب فأحرق جميع نسخه، ولم يذر منها للناس عيناً و لاأثراً، وأرسل الىٰ تلك الامصار نُسخاً من هذا المرتّب الجديد، والمجموع العتيد، وأمر الناس بتلاوته، فأخذوه حذراً من شرار غضبه وشراسته.

فلو أظهر الإمام ما كان جمعه ورتبه بالترتيب النّزولي – مع شرح وتفسير و بيانٍ لمجمله و متشابهه و ناسخه و منسوخه و ... – لكان ذلك ترتيباً ثالثاً، وظن الناس أنه يجوز للسلطان القاهر، والملك المتسلّط – في كل زمان – أن يرتّبه حيث شاء ويقلّبه حيث أراد، ولجعلوا عمل الامام عليه السلام دليلاً لتغييرهم، ولأخذوه شاهداً لفعلهم، بل لاصبح ذلك سنّة لمن يأتي من بعد

علي من طوائف الملوك وأشباه السلاطين و لأخذ أحدهم في حذف آيات القرآن، أو قلبه، أو تقديمه وتأخيره بحسب ما يقتضيه رأيه، وما تفرض عليه غريزته، إيثاراً لهواه... فلو أذْعنّا للفرض المتقدم لكان علينا ان نقبل تلك النتايج المتوقعه و هذا يعني سوف لن‌يبق إلىٰ الآن من القرآن اسم ولا رسم إلا على سبيل الذكر والحكاية، كألف ليلة وليلة، و كباقي الكتب الأدبية، لذا كان من الأصلح والأحسن والأهون لحوزة شريعة سيد المرسلين أن يسكت الامام عن نسخته التي جمعها، ويعرض عن إرادته، ويُبقي ما كان على ما كان، لئلا يختل أمر الكتاب فيقع الناس في شبه وارتياب، وتأخذ بهم الأهواء والميول، ويظهر آنذاك الهرج والمرج.

(٧) إنّه كان يعلم عليه‌السلام بعلم الإمامة وبما أخبره النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله من أن الناس سيفترقون من بعده فرقاً كثيرة ويتشعّبون شعباً عديدة على اقتضاء أهوائهم وما تشتهي آرائهم، حيث قال الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله : «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة».

كما رواه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، و هكذا رواه غيره.

من هذا الحديث يعرف أن كل واحد منهم يأخذ لنفسه طريقاً يسلك فيه، وديناً يتديّن به، يخالف دين الآخر وطريقته، كما يظهر من النظر في أحوال فرق المسلمين، فالذين يُأدّون إليه ويؤمنون بإمامته ويذعنون له ما هم إلاّ النزر القليل كعدد الاصابع، فلو أنّ الامام علي عليه‌السلام أخرج مصحفه والحال هذه لم يكن فيه عائدة كثيرة، لأن الفِرق المخالفة له تبقى مخالفة، و تبقىٰ مبغضة لكل عمل يقوم به.

إذن كان الظن المتاخم لليقين أنّهم متى ما ظفروا بما صنعه

أميرالمؤمنين عليه السلام أتلفوه ومحوا آثاره من وجه الأرض، ولذلك كان أولىٰ به أن لا يخرج مصحفه للناس، لئلا يرجع أمر الآمر إلىٰ الضياع والتلف فلا يعود منه إلاّ إلىٰ تلهف وأسف.

(٨) أنّه عليه السلام كان يعلم بما أخبره الرسول بوقوع المحن وحدوث الفتن بعد وفاته، وأن جميع أهل الملل و الأهواء و الفرق كلهم سوف يزدحمون على شيعته وتابعيه ويقتلونهم شر قتلة، ويأسرونهم، ويأخذونهم بالذل والهوان، ويسومونهم الخسف، ويسقونهم الحتف، ويفرّقونهم إلىٰ البلاد، ويمزّقونهم بين العباد، وينفونهم إلىٰ البراري والقفار و... و... وينصبون لهم شر البلايا، ويمطرون عليهم سهام الرزايا، كما قد وقع كله، وليس يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد.

فلو كان عليه السلام أظهر ذلك القرآن وبقى في أيدي الشيعة وعرفوا بذلك لقتلوا به من أوّلهم، ولم يبق أحدٌ من آخرهم، كما وقع مثله في سالف الزمان على عهد المنصور والرشيد والمتوكل، حتىٰ أنّه من وجد عنده حديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام كان يصلب، ويحرق، وتقطّع مفاصله، ويفرّق، ويغرق في الماء، ويدفن حيّاً تحت السواري والجدران، وأمثالها من الشدائد والمصائب والمحن ما لا تحصى، ومن المظالم ما لا تستقصى، ولذلك أخفوا فضائله حتىٰ نسوا كثيراً منها، بل وبعض الأصحاب من الشيعة؛ الرّاوي لأخبار الأئمة المعصومين، قد دفن من كتبه نحواً من مائتي مجلداً خوفاً على دمه، و ليس لهذا الخوف من داع الا لانّ كتبه تلك التي صنّفها كانت تشتمل على أحاديث الآداب والأحكام والتفسير وغير ذلك من الفنون المأخوذة المسموعة من المعصومين عليهم السلام، فما بالك بالنسبة للقرآن الذي رتّبه الإمام؟

فلابد أن يكون أمره أعجب، وشيء مستصعب لا تقبله النفوس، وتحـذره أصحاب الأهواء والشهوات من بني‌أمية و بني‌العباس، إذن لم يكن هناك من فائدة في جعل هذه النسخة في اختيار الناس كلما القـوم متمسّـكون بنسـخة عثمان، بل كان إخفاؤه أحسن وللعواقب أسلم.

(٩) إنّه عليه السلام لو أظهر مصحفه فمتىٰ كان على يقـين مـن أن يبقـى متلـواً محفوظاً بينهم كما كان يعلمه بعلمه الإلهي أن الملوك الآتية من أمثال فرعـون وشداد من بني أمية يلعنونه ويسبّونه إلىٰ ألـف شـهر،[1] ويحرّفـون أحاديـث فضائل أهل البيت عليهم السلام ، ويضعون أخبـاراً في فضـائل أنفسـهم ولا يـدعون غاية امكانهم، وحد استطاعتهم، وبلوغ أيديهم، وسعة باعهم، شيئاً من آثـار أهل البيت عليهم السلام على وجه الأرض، حتىٰ أنهم عيّنوا عيوناً وسـلّطوا الأمـراء والجنود والأوغاد السفلة على محو آثارهم عن الـدنيا وإخمـاد ذكـرهم عـن قلوب أهلها.

فإذن هل يجوّز لبّ لبيب، أو هل يحكم به عاقل أن أمير المؤمنين عليه السلام لو كان وضع هذا القرآن في أيدي شيعته، وأمر بتلاوته وحفظه والعمل به، أبقتـه الأعداء من غير تغيير، أو تركته من دون تحريف كثير، بل المظنـون المتـاخم لليقين أنهم لو وجدوه لأحرقوه وأتلفوه، وقتلـوا حفّاظـه، وضـربوا كتّابـه، ونهبوا خزّانه وفتكوا بتاليه، ثم لوضعوا كتاباً آخر يشـتمل علـى مـا يضـادّه ويخالفه كما كان الأول متضمّنا لصريح المناقب وأبين الفضائل لأهـل البيـت وسمّوه كتاب الله كما وضعوا أحاديث كثيرة في فضائل الأصحاب من الأخيار

---

(١) لقد سنّ معاوية سبّ اميرالمؤمنين علي (ع) و أمر به جميع الخطباء، و أن يسب على المنابر، و بين الاذان و الإقامة من كل فريضة، و في كل مناسبة حتى شاب عليه الصغير و هرم عليه الكبير.

والفجار، والمؤمنين والمنافقين، ودسّوها في كتبهم وسمّوا بعضها الصحيح، وبعضها المسند، وبعضها الجامع، وبعضها السّنن، وجعلوها تلي كتاب الباري رتبة ورفعة كما يقولون في صحيح - المحدّث - البخاري فصار الكتاب هناك كتابين، بل كتباً واستريب في الحق، والتبس الصدق، فلم يعرف الغث من السمين، ولم يدر أيهما أحق بالأخذ.

(١٠) إنّه ﷺ لو وضع مصحفه في أيدي أشياعه مع بقاء ما رتّبه عثمان في أيدي أتباعه، وهم كانوا على غاية المنافرة، ونهاية البعد في آرائهم حتىٰ أنّ كل واحد من الفرقتين يحقّر أمر الآخر ويهوّنه، ويعدّه باطلاً في زعمه، ويهجوه، ويذلّه ويعيبه ويعيّره ويستهزئ به فيطعن أتباع الخلفاء على أشياع الأئمة الأمناء، ويشنع آخر الذكر على أوّله، ويُسفه أحلامهم، ويبطل أقوالهم، ويحمّق عقولهم، ويجهّل فحولهم، ويزعم كلّ منهم أن الصحيح عنده، وأن ما في أيدي الآخرين باطل، وعن شبه الحق عاطل، فهذا يطعن مرّة في صحيح البخاري وذلك يستهزئ آخر بتهذيب الطوسي، وهذا يستخف بسنن ابن ماجه ولا يقوّمه، ولو يقطع من زجاجه وذلك يضعّف مرويات من لا يحضره الفقيه والكافي ولا يشتريه بكف من رماد، وهذا يرمي موطأ بن مالك وذلك ينبذ وراء ظهره كتاب المدارك والمسالك، وهكذا فإذن لم يَروا بأساً من استخفاف هذين المجموعين والاستهزاء به، فهذا يوهن هذا وهذا يستخف بهذا فلم يبق إذ ذاك عزّ ولا قيمة لكتاب الله وكان هو ﷺ سبباً لهذا الاستخفاف، ولذلك لم ير ﷺ صلاحاً في إخراجه بل رأىٰ في اخفائه أحق وأحرى، ورأى كتمانه خيراً.

(١١) إنّا لا نسلّم أنّه ﷺ لم يظهره ولم يضعه بين أيدي الناس، بل الحق

المعلوم من النظر في كتب السير والتواريخ أنّه عليه السلام لما فرغ من جمعه وترتيبه أتى به عند القوم، فلم يقبلوه، وناولهم فلم يأخذوه، والدين ليس بالإجبار والإكراه، بل هو بالرضا وحسن القبول، وإنما كان يلزم عليهم أن يطلبوا ما جمعه، كما أنّ الواجب على كل مكلّف عاقل أن يتعلّم أركان الفرائض والواجبات والسنن والآداب من أهل الذكر، كما قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١)، وليس مما يجب على النّبي أو نوّابه أن يكرهوا أحداً على الحق، بل الواجب عليهم إنما هو إلقاء البراهين وتبيين الأدلة وتوضيح القوانين، إن قبلوها نجوا، وإن أعرضوا عنها غووا، وفي قعر الضلالة هووا، ومع ذلك فاظهره عليهم، إتماماً للحجة، وأيضاحاً للمحجّة، ليهلك من هلك عن بيّنه، ويحيىٰ من حيّ عن بيّنة، فإذن قد برئت الذمة منه، وخرج عن عهدته، ولم تبق لأحدٍ فيه مغمزة، ولا محلٌ للطعن فيه والمهمزة(٢).

وسيأتي تعليق إضافي وبيان وافي في كون مصحف عثمان جمع على وفق مصحف أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم وبإيعاز منه.

---

(١) سورة النحل: ٤٣.

(٢) أقول: استفدنا هذه الاجوبة من العلامة محمد هارون زنكي في رسالته تحت عنوان رفع الحجاب ودفع العجاب، (بتصرّف).

الفصل الثالث

الرقعة الجغرافية

- وسعة الاختلاف في القراءات
- كيف حصل الاختلاف في القراءات

كيف حصل الاختلاف في القراءات؟

تؤكّد جملة من الروايات في باب القراءات – و هي كثيرة – أنّ النّبي ﷺ أقرأ الصحابة على قراءة صحيحة، أمّا ما قيل من أن المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف اشتماله على سبعة معان؛ كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهي.. ونحو ذلك، فالأخبار تدفعه، لأنها ناطقة بأن السبعة الأحرف مما يختلف به اللفظ، وليس الاختلاف فيها مقصوراً على المعنىٰ.

وكذا ما يقال من أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطتها عنه الأئمة، وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف، وأخبروا بصحتها، وحذفوا عنها ما لم يثبت متواتراً، وإن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة، وألفاظها أخرى فهو مردود أيضاً.

فمن راجع كتب السيرة والقراءات علم أن مصحف عثمان لم يكن إلا حرفاً واحداً، وأنه أبطل ما سوى ذلك الحرف، ولذلك نقم عليه ابن مسعود، كما نقم عليه آخرون غيره. وكان غرض عثمان في ذلك الجمع هو رفع الاختلاف، وجمع الناس على أمر واحد.

أما اختيار هؤلاء السبعة من بين القرّاء والاقتصار على قراءتهم ورفض من سواهم من القراء على كثرتهم إنما هو من فعل المتأخرين، وقد تشعّبت

القراءات واختلفت كلمة القرّاء بعدما جمع عثمان الناس على قراءة زيد بن ثابت، وكَتَبَ المصاحف السبعة - على المشهور بين القرّاء - فبعث بواحد منها إلىٰ الكوفة، وبواحد إلىٰ البصرة، والىٰ كل من الشام ومكة واليمن والبحرين بواحد وأمسك في المدينة مصحفا كانوا يقولون له: الإمام، ثم لما كانت تلك المصاحف:

١: مجردة عن النقط.

٢: ومجردة عن علامة الإعراب ونحو ذلك.

٣: كلماتها المشتملة على حرف الالف مرسومة فيها بغير ألف، اختلفت القراءات بحسب ما تحتمله صورة الكتابة، فقرأ كلّ بما ظنه أولىٰ من حيث المعنىٰ أو من جهة قواعد العربية واللغة إلا في مواضع يسيرة لم يتفقوا على صورة الكتابة، والظاهر أنها نشأت من كتّاب المصاحف السبعة، واختلافها:

أ. إما لأن كلاًّ منهم كتب الكلمة بلغة كانت عنده أصح كالصراط - بالصاد والسين - .

ب. أو للسهو والغفلة.

ج. أو لاشتباه حصل في صورة الكتابة. وبالجملة، جميع القرّاء المتأخرين - عن عصر الصحابة - السبعة وغيرهم يزعمون مطابقة قراءتهم لمصحف من مصاحف عثمان، بل للقراءة الواحدة التي جمع عثمان الناس عليها وأمر بترك ما سواها.

فهذه القراءات إنما تشعبت عن مصاحف عثمان، ولذلك اشترط علماء القراءة في صحة القراءة ووجوب اعتبارها ثلاثة شروط:

١) كونها منقولة عن الثقات.

٢) وكونها غير مخالفة للقواعد.

٣) وكونها مطابقة لرسم مصحف من تلك المصاحف بحيث تحتملها صورة الكتابة وإن كانت محتملة لغيرها، وادّعوا انعقاد الإجماع على صحة كل قراءة كانت كذلك، ولما كثر اختلاف القرّاء وتكثّرت القراءات الصحيحة عندهم جرى المتأخرون منهم على سنة عثمان في إبطال القراءات، فاقتصر طائفة منهم على السبعة، وزاد طائفة ثلاثة، وزاد بعضهم على العشرة، وطرح بعضهم الثلاثة من العشرة، وزاد عشرين رجلا، وزاد الطبري على السبعة نحو خمسة عشر رجلاً[١]، وقد فعلوا بالرواة عن السبعة أو العشرة أو فوقهما ما فعلوا بهؤلاء، فاعتبروا قوما من الرواة وطرحوا أكثرهم. وقد بسط الكلام الجزري في النشر[٢]، قال ـ بعد إيراد تشعب القراءات وكثرتها ما هذا لفظه ـ: بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الاحرف السبعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه [وآله] هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءآت الصحيحة هي التي في الشاطبية والتيسير، وأنها هي المشار إليها بقوله صلى الله عليه [وآله]: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حتىٰ أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ. ثم قال[٣]:

وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا: إنزل القرآن على سبعة أحرف،

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ١٥.

(٢) النشر في القراءات العشر: ١/ ٣٦.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٣٦.

وسمعوا قراءات السبعة، فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الائمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القرّاء وخطّأوه في ذلك، وقالوا: ألا أقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بيّن مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة؟

أقول: ظهر أن تعدد تلك القراءات لا ينفع في القدح فيما فعله عثمان من المنع من غير قراءة زيد بن ثابت وجمع الناس عليهما، ثم لو تنزلنا عن هذا المقام وقلنا بجواز جمع الناس على قراءة واحدة فنقول: اختيار زيد بن ثابت على مثل عبد الله بن مسعود والمنع من قراءته وتعلم القرآن منه مخالفة صريحة لامر الرسول ﷺ على ما تظافرت به أخبارهم الصحيحة عندهم.

فقد روى ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال: استقرؤا القرآن من أربعة نفر فبدأ بابن أم عبد[1].

وعن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل: وأبي ابن كعب، وسالم مولىٰ أبي حذيفة. قال: وقال صلى الله عليه [وآله] وسلم: من أحب أن يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد. وبعضهم[2] يرويه: من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. وعن عبد الله مثله. وعن أبي وائل[3]، قال: سمعت ابن مسعود يقول: إني لاعلمهم

---

(١) في الاستيعاب بدأ بعبد الله بن مسعود بدلاً من ابن أم عبد ٢/ ٣١٩ المطبوع بهامش الإصابة.

(٢) كما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب: ٢/ ٣٢١.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٣٢١.

بكتاب الله وما أنا بخيرهم، وما في كتاب الله صورة ولا آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت، ومتىٰ نزلت. قال أبو وائل: فما سمعت أحدا أنكر عليه ذلك[١].

ومما يناسب المقام أن نذكر كلام الجزائري في هذا الموضع. قال:

«لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها، حتىٰ قام الإمام أبو بكر أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد ـ وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد ـ فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام، وهم: نافع، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر، وعاصم وحمزة، وعلي.

وقد توهم بعض الناس أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، وليس الأمر كذلك... وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيه من الإيهام... قال أحمد بن عمار المهدوي: لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الامر على العامة بايهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة...».

وقال الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد القراب في الشافي: «التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين، لم يكن قرأ بأكثر من السبع، فصنّف كتاباً، وسمّاه كتاب السبعة، فانتشر ذلك في العامة...».

وقال الإمام أبو محمد مكي: «قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة، وأجل قدرا من هؤلاء السبعة... فكيف يجوز أن

---

(١) المصدر السابق.

يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين، قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها - هذا تخلف عظيم - أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك! وكيف يكون ذلك؟ والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره - وكان السابع يعقوب الحضرمي - فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب»[١].

وقال الشريف المرسي: «وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها ـ الأحرف السبعة ـ القراءات السبع، وهو جهل قبيح»[٢].

وقال القرطبي: «قال كثير من علمائنا كالداودي، وابن أبي سفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع، التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلىٰ حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القرّاء»[٣].

وتعرض ابن الجزري لإبطال توهم من زعم أن الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن مستمرة إلىٰ اليوم. فقال: «وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة، والثلاثة عشر بالنسبة إلىٰ ما كان مشهورا في الإعصار الأول، قل من كثر، ونزر من بحر، فإنّ من له إطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة، وغيرهم كانوا أمما لا تحصى، وطوائف لا

(١) التبيان: ١/ ٨٢.

(٢) التبيان: ٦١.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٤٦.

تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر وهلم جرا. فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدّى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم - فيما أحسب - خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة وتوفي سنة (٢٢٤هـ) وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية، جمع كتابا في قراءات الخمسة، من كل مصر واحد. وتوفي سنة (٢٥٨هـ) وكان بعده القاضي اسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما، منهم هؤلاء السبعة. توفي سنة (٢٨٢هـ) وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتابا سماه (الجامع) فيه نيف وعشرون قراءة. توفي سنة (٣١٠هـ) وكان بعده أبو بكر محمد ابن أحمد بن عمر الداجوني، جمع كتابا في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة. وتوفي سنة (٣٢٤هـ)، وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وروى فيه عن هذا الداجوني، وعن ابن جرير أيضا. وتوفي سنة (٣٢٤هـ)».

وفي هذا الصدد ذكر ابن الجزري جماعة ممن كتب في القراءة، فقال : «وإنما أطلنا هذا الفصل، لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في (الشاطبية والتيسير)، وأنها هي المشار إليها بقوله ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف، حتىٰ أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في

هذين الكتابين أنه شاذ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذا، وربما كان كثير مما لم يكن في (الشاطبية والتيسير)، وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما، وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء ، وخطؤوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده، أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة. ثم نقل ابن الجزري - بعد ذلك - عن ابن عمار المهدوي، وأبي محمد مكي ما تقدم نقله عنهما آنفا»[١].

قال أبو شامة : «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل».

---

(١) النشر في القراءات العشر: ج١ ص٣٣-٣٧.

الرقعة الجغرافية

وسعة الاختلاف في القراءات

في تتبّعنا للنصوص والأخبار سوف نلاحظ أن الاختلاف في القراءات قد شمل كل أرجاء الرقعة الإسلامية تقريباً، فقد حصل:

١- في العراق؛ في الكوفة والبصرة.

٢- في أرمينية ومناطق أذربيجان.

٣- في الشام؛ في دمشق وحمص.

٤- في المدينة المنورة.

كي نلم بساحة الاختلاف في القراءات وجدنا من الأنسب أن نذكر المناطق التي برزت فيها القراءات المختلفة، وبعدها سوف نشير إلىٰ جملة من الروايات في هذا الصدد.

أولاً: منشأ الخلاف في العراق

في بعض الروايات أن منشأ الاختلاف إنما كان في العراق:

أ. عن أبي الربيع قال: أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو [بن حريث] قال: «قال بُكير حدّثني بسر بن سعيد، عن محمد بن أُبيّ أن ناساً من أهل العراق قدموا إليه فقالوا: إنما تحملنا إليك من العراق فأخرج لنا مصحف أُبي.

قال محمد: قد قبضه عثمان.

قالوا: سبحان الله أخرجه لنا.

قال: قد قبضه عثمان[١].

ب. كما في رواية السجستاني بسنده عن بكير حدّث أنّ ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية فإذا قرأها قال: إني أكفر بهذه، ففشا ذلك في الناس...[٢]

منشأ الخلاف في الكوفة

جـ. كما في اكثر من رواية أنّ الخلاف كان منشؤه الكوفة وتحزّب الناس، فمنهم يقول بقراءة أبي موسى الأشعري وفريق يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود، واحتدّ هذا الخلاف في زمن الوليد بن عقبة ... .[٣]

منشأ الخلاف في أهل البصرة

د. كما في الرواية التي ذكرها السجستاني : أنّ أهل الكوفة وأهل البصرة قد اختلفوا في القراءة، فالكوفيّون يقرؤون على عبد الله بن مسعود وأما البصريّون فقراءتهم على أبي موسى الأشعري.

ثانياً: منشأ الخلاف في أرمينية وآذربيجان

إن منشأ الخلاف في القراءات إنما كان بين الجند الذي اشترك في فتح

---

(١) المصاحف للسجستاني: ص٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨ و ٢٠.

أرمينية وآذربيجان، وشهد حذيفة هذا الفتح في نحو سنة ثلاثين من الهجرة، أي في خلافة عثمان.(١)

ثالثاً: منشأ الخلاف بسبب القرّاء في الشام

نشأ عند الحمصيين لأنهم قرؤوا على المقداد ونشأ عند الدمشقيين لأنهم يزعمون قراءتهم خير قراءة، ونشأ عند الكوفيّن لأنهم قرؤوا على ابن مسعود ونشأ عند البصريين لأنهم قرؤوا على أبي موسى الأشعري.

وهذا الاختلاف قد أشارت إليه بعض الروايات.(٢)

رابعاً: منشأ الخلاف في المدينة

كما في جملة من الروايات، أنّ الخلاف نشأ زمن عثمان، وبين المعلّمين، حتىٰ كفّر بعضهم بعضاً، فقام عثمان فيهم خطيباً وهو يقول: «انتم عندي تختلفون فيه فتلحنون لحن نأى عنّي من الأمصار أشدّ فيه اختلافاً واشد لحناً».(٣)

رواة ذلك الاختلاف

أغلب الروايات ـ وما تقدّم منها وما يأتي لاحقاً ـ تشير إلىٰ أنّ الاختلاف الذي نشأ في العوالم الإسلامية، لم ينتبه إليه ولم يهتم به إلاّ حذيفة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨.

(٢) ينظر: الكامل في التأريخ لابن الاثير، ج ٣، ص ٨، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣ و ٣١.

بن اليمان الكوفي المدائني صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو من الأركان، ومن أجلاء صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وصاحب سرّه، وهو من حواريّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، - ستعرف تفصيل ذلك عن قريب إن شاء الله - وهو الذي نبّه عثمان كما في أغلب الروايات[1]، وفي بعض الروايات أنّ رجلاً من أهل الكوفة كان يبحث عن القراءة الصحيحة ففزع إلىٰ حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري، وهناك روايتان - من بين ستة عشر رواية - تشير إلىٰ أن عثمان هو الذي انتبه إلىٰ ذلك الاختلاف المتفشّي في أهل المدينة المنورة.

ما جاء في حذيفة بن اليمان من مدح وثناء

هو حذيفة؛ أبو عبد الله، سكن الكوفة، ومات بالمدائن بعد بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً[2] ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأجلاّء ومن خيرتهم. وعداده في الأنصار، وهو أحد الأركان الأربعة.

وأيضاً هو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما في رجال الحلي[3].

وفي رجال الكشي بسنده عن جبرئيل بن أحمد الفاريابي البرناني قال: حدّثني الحسن بن خرزاذ، قال: حدّثني ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ضاقت الارض بسبعة، بهم تُرزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون، منهم:

(١) سيأتي ذكرها في الصفحات اللاحقة.

(٢) كما في رجال الشيخ الطوسي، وقد عدّه من أصحاب رسول الله (ص).

(٣) الخلاصة: القسم الأول ص١٣١.

سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمّار، وحذيفة رحمة الله عليهم»[١].

وكان علي عليه السلام يقول: «وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة عليها السلام».

وفي رجال الكشي أيضاً بسنده عن ابن مسعود، قال: «أخبرني أبو الحسن علي بن الحسن بن فضّال، قال: حدّثني محمد بن الوليد البجلي، قال: حدّثني العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، ذكر أن حذيفة لما حضرته الوفاة – وكان آخر الليل – قال لابنته: أية ساعة هذه؟

قالت: آخر الليل.

قال: الحمد لله بلغني هذا المبلغ ولم أوالِ ظالماً على صاحب حق، ولم أعادِ صاحب حقّ.. الخ[٢].

وفي رجال الكشي أيضاً: جاء في ترجمة أبي أيوب الأنصاري: «[سئل الفضل بن شاذان][٣] عن ابن مسعود وحذيفة، فقال: لم يكن حذيفة مثل ابن مسعود، لأن حذيفه كان زكياً[٤]، وابن مسعود خلط ووالىٰ القوم ومال معهم، وقال بهم»[٥].

أقول: ويعدّ حذيفة في الطبقة الأولىٰ من الرواة.

روى الصدوق في الخصال في حديث طويل بسنده عن عبد الله بن عباس قال: «... وحبُّ أولياء الله والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة

(١) رجال الكشي، ٣٢/١.

(٢) المصدر السابق، ١٦١/١.

(٣) من الكلام المتقدم في رجال الكشي أن المسؤول هو الفضل بن شاذان.

(٤) (ركناً) في نسخة أخرى.

(٥) رجال الكشي.

ومن الذين ظلموا آل محمد ﷺ وهتكوا حجابه - إلىٰ أن يقول: - والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة، والولاية للمؤمنين الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا بعد نبيّهم ﷺ واجبة، مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن الصامت، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وابي سعيد الخدري، ومن نحا نحوهم...»[١].

وجاءت ترجمته في الاستيعاب، فقال فيه ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): «شهد حذيفة وأبوه حسيل (اليمان) وأخوه صفوان أُحُداً وقتل أباهُ يومئذ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين».

كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ﷺ وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق ينظر إلىٰ قريش فجاء بخبر رحيلهم، وكان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين وهو معروف في الصحابة بصاحب سرّ رسول الله ﷺ .

وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر.

وكان حذيفة يقول: «خيّرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت النصرة» وهو حليف للأنصار لبني عبد الأشهل، وشهد حذيفة نهاوند فلما

---

(١) الخصال: للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ): ٢/ ٦٠٨ حديث ٩، من باب الواحد إلى المائة، باب خصال من شرائع الدين.

قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وكان فَتْح همدان والريّ والدينور على يد حذيفة، وكانت فتوحه لها سنة اثنين وعشرين، ومات حذيفة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان، في أول خلافة علي ...

وقتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفين وكانا قد بايعا علياً بوصية أبيهما بذلك إياهما...»[1].

وقال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في الرقم (١٦٤٧): حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة يأتي نسبه في ترجمة أبيه حسل (حسيل) ... أسلم حذيفة وأبوه وأرادا شهود بدر فصدّهما المشركون وشهدا أُحداً فاستشهد اليمان بها، وروى حديث شهوده أُحداً واستشهاده بها البخاري، وشهد حذيفة الخندق وله بها ذكر حسن وما بعدها.

وروى حذيفة عن النبي ﷺ الكثير، وعن عمر.

روى عنه جابر وجندب وعبد الله بن يزيد وأبو الطفيل في آخرين، ومن التابعين ابنه بلال وربعي بن خراش وزيد بن وهب وزر بن حبيش وأبو وائل وغيرهم.

قال العجلي: «استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتىٰ مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة عليّ بأربعين يوماً ...

وروى مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن حذيفة قال: «لقد حدّثني رسول الله ﷺ ما كان وما يكون حتىٰ تقوم الساعة».

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) بهامش الإصابة: ١/ ٢٧٨ ط. دار صادر بيروت.

وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة.

وفي الصحيحين عن عمر أنه سأل حذيفة عن الفتنة، وشهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة[1].

هكذا نقف على سيرة حذيفة بن اليمان الناصعة بشهادة الخليفة عمر وبقية الصحابة، وانه من كبار أجلاء صحابة الرسول ﷺ بل صاحب سرّه، وهذا المقام الرفيع لم يحظ به أحد من بين الصحابة إلاّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أن معرفة حذيفة بأسماء المنافقين أمرٌ مهم، أضف إلىٰ ذلك كان يقتدي الخليفة عمر بحذيفة فيما لو شهد جنازة أحد الصحابة أو لم يشهدها، وهكذا المدح الذي نقلناه في حقّه من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام في كونه أحد السبعة الذين بهم يرزق الله الناس وبهم تمطر السماء ...

فهذه النصوص تؤكّد جلالة حذيفة وعظم منزلته وعلمه.

إذاً خلصنا إلىٰ نتيجة مهمة ألا وهي:

أن حذيفة هو من أقرب الناس إلىٰ النبي ﷺ، وهو من أقرب الناس إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، فهو من الأركان، ومن حواري أمير المؤمنين عليه السلام، فكل عمل ذي بال وخطير لابد أن يعود به إلىٰ إمام المسلمين ومن أمرهم الله ورسوله بالرجوع إليه، ألا وهو الإمام علي عليه السلام، فهل يعقل أن يعرض حذيفة أمر اختلاف المسلمين في القراءة على الوليد بن عقبة؟ ومن هو الوليد؟

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): ١/ ٣١٨، ط. دار صادر بيروت – عام ١٣٢٨هـ ، وط. السعادة بمصر.

أو أن يعرضه على سعيد بن العاص...؟

أو أن يشدّ الرحال إلىٰ المدينة ليعرض الأمر على عثمان بن عفّان...؟!

أو أن يعرضه على سعيد بن العاص ... ؟

أو أن يشدّ الرحال إلى المدينة ليعرض الأمر على عثمان بن عفّان ...؟!

كل ذلک لم يحصل و انما السبيل الى جمع كلمة المسلمين على قراءة واحدة هو الامام علي عليه‌السلام، و قدعرفت من قبل أن حذيفة هو من حواري الإمام علي عليه‌السلام ، و هو من أحد الاركان الذين أشاد بهم اميرالمؤمنين عليه‌السلام . ثم لايخفاک أنّ كلّ معضلة يواجهها الخلفاء الثلاثة كانوا يلتجؤون الى الإمام علي عليه‌السلام فهذا ابوبكر و ذاک عمربن الخطاب اشادوا بمواقف علي بن أبي‌طالب عليه‌السلام حتى قال الخليفة الثاني (لولا علي لهلک عمر) و نصوص كثيرة في ذلک و في مثل مقولة عمر أو مايشبهها قال فيه عثمان بن عفان.

كيفما كان فان حذيفة بن اليمان لايقدم على شيءٍ دون مشورة اميرالمؤمنين عليه‌السلام ثم لايخفىٰ أنِ المصحف الذي بعثه عثمان إلى الكوفة قدسيّر معه عبدالرحمن السلمي و أمر أهل الكوفة أن يقرؤوا بقراءة السلمي و هو تلميذ أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام و هي قراءة حفص عن عاصم عن عبدالرحمن و قدشاء الله سبحانه أن تكون هذه القراءة – فيما بعد و الى يومنا هذا – هي قراءة جميع الامصار و البلدان.

المدخل إلى الاختلاف بين القرّاء

الاختلاف بين القرّاء

إنّ القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة الكلمات، لا بزيادة كلمة أو نقصها، لأن الزيادة أو النقيصة تؤدي ـ من يقول بهما ـ إلىٰ التحريف، وليس هناك ذو عقل سوي يقول به.

وعليه ينبغي أن نضع جملة من النقاط قبل أن ندخل في التفاصيل.

أولاً: أنّ القراءات ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً، فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول، المتواتر بين عامة المسلمين على مدى هذه القرون الطويلة.

ثانياً: أنّ كلاّ من القرّاء لم تثبت عدالته، ولا وثاقته، فهو يروي عن آحادٍ، حال غالبهم مثل حاله، ويروي عنه آحادٌ مثله.

وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه، فكم اختلف حفص وشعبه في الرواية عن عاصم.

وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع.

وكذا اختلف قُنبل والبزي في روايتهما عن أصحابهما عن ابن كثير.

وكذا اختلفت رواية أبي عمر وأبي شعيب عن رواية اليزيدي، والجميع اختلفت روايتهم عن أبي عمرو.

وكذا اختلفت رواية ابن ذكوان وهشام عن أصحابهما عن ابن عامر.

وكذا رواية خلف وخلاّد إذ اختلفتا عن رواية سليم عن حمزة.

وكذا اختلفت رواية أبي عمر وأبي الحارث عن الكسائي.

ثالثاً: أنّ أسانيد هذه القراءات الأحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنة في الإسناد، فضلاً عن الإمامية، فمن أين جاء التواتر؟

وكيف صحّت تلك القراءات بمعيار أهل الحديث من السنّة وعلماء الجمهور؟!

رابعاً: كي نمحّص هذا الاختلاف ونقف على صوره وأسبابه ينبغي أن نتابع الجهود المبذولة في عملية جمع القرآن - منذ بدايته الأولىٰ وحتىٰ مرحلته النهائية التي هو عليه اليوم -.

و قدتقدم الكثير منه في هذا الكتاب، كماينبغي أن تتابع جذور ذلك الاختلاف في القراءات و أسبابه، و هذا ماسيأتي - إن‌شاءالله - في كتابينا : (القراءات و الاحرف السبعة) و (نشوء القراءات) فراجع.

تم بحمدالله و حُسن توفيقه في دمشق في أواخر محرم الحرام سنة ١٤٢٧ هجرية علىٰ مهاجرها آلاف التحية، و أنا أقل العباد، مصنّف هذا السفر عبده الفقير الراجي عفو ربّه الغني الحاج الشيخ عبدالرسول ابن المرحوم المغفور له الميرزا عبدالحسن ابن الشيخ علي العطّار و الملقّب بـ (الغفاري) نزيل سوريا و لبنان.

والحمدلله أوّلاً و آخراً، سائلين المولى سبحانه السّداد و الرشاد بحق نبيّه المصطفى وآله أئمّة الهدى و صحبه المنتجبين أهل التُقىٰ.

ملحق ص ٢٧

قال رسول الله ﷺ : (الخلفاء من بعدي اثناعشر خليفة).

اتماماً للفائدة وجدت من الانصاف أن أذكر بعض الروايات من مصادر الجمهور في صدد خلفاء النبي وأوصيائه من بعده.

روىٰ القندوزي الحنفي بسنده عن الشعبي عن عمربن قيس قال: كنا جلوساً في حلقة فيها عبدالله بن مسعود فجاء اعرابي فقال: أيّكم عبدالله بن مسعود؟

قال: أن عبدالله بن مسعود.

قال هل حدّثكم نبيّكم كم يكون بعده من الخلفاء؟

قال: نعم إثنىعشر، عدد نقباء بنياسرائيل.(١)

وعنه بسنده عن مسروق قال: بينما نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه اذ قال له فتى: هل عهد إليكم نبيّكم كميكون من بعده خليفة؟

قال: إنّك لحديث السن وإنّ هذا شيء ماسألني أحدٌ قبلك، نعم عهد الينا نبينا ﷺ انّه يكون بعده إثنيعشر خليفة بعدد نقباء بنياسرائيل.(٢)

ومثله عن جابر بن سمرة.

ومثله عن سماك بن حرب.

وروىٰ القندوزي بسنده عن جابر بن سمرة رفعه، قال: لايزال هذا الدين

---

(١). ينابيع المودة، سليمان القندوزي، ص ٣٠٧، باب ٧٦.

(٢) . المصدر السابق، ص ٣٠٧.

قائماً حتى يكون عليكم إثنيعشر خليفة كلّهم تجتمع عليه الامة، فسمعت كلاماً من النبي صلى الله عليه وآله لم أفهمه فقلت لأبي: مايقول؟ قال كلّهم من قريش.[1]
قال القندوزي: للشيخين والترمذي و أبيداود بلفظه.

ثم قال: وفي أبيداوود من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد، وفي الحميدي من ثلاثة طرق.[2]

وفي البخاري بسنده عن جابر رفعه: يكون بعدي اثناعشر أميراً، فقال صلى الله عليه وآله : كلمة لمأسمعها فسألت أبي ماذا قال؟

قال: كلّهم من قريش.[3]

وفي المودّة العاشرة من كتاب مودّة القربىٰ للسيد علي الهمداني عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: بعدي إثنيعشر خليفة ثم أخفى صوته فقلت لأبي ماالذي أخفى صوته؟

قال: قال كلّهم من بنيهاشم[4]

وعن ابن عباس مثله[5]

وعن سلمان مثله[6]

---

(١) ينابيع المودة، ص ٣٠٧ و سنن أبي داوود، ج ۴، ص ١٠۶، كتاب المهدي حديث ۴٢٨٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ٥١ ، ج ٨ ، ص ١٢٧.
(۴) ينظر: ينابيع المودّة، ص ٥٣٣ .
(٥) ينابيع المودّة، باب ٩، فصل ٢٧ و في طبعة أخرى ٣، حديث ٢٠٨ و باب ٧٧.
(۶) المصدر السابق

وعن عباية بن ربعي عن جابر بن سمرة قال ﷺ:

أنا سيد النبيين وعلى سيد الوصيين وأن أوصيائي بعدي اثناعشر اوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي رواه القندوزي في ينابيعه عن فرائد السمطين لمحمد الحمويني الشافعي.(١)

وعن الاسود بن سعيد الهمداني عن جابر بن سمرة، قال ﷺ: يكون بعدي إثناعشر خليفة كلّهم من قريش.

قال ثم رجع الى منزله فأتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟

قال ﷺ : ثم يكون الهرج.(٢)

أقول: صرّح النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة وفي مناسبات كثرة بعدد الخلفاء الذين يأتون من بعده، بل أكثر من ذلك أنّه ﷺ صرّح بأسمائهم، كمانعتهم بصفات كثيرة؛ فهم إثناعشر خليفة، وفي روايات أخر إثناعشر وصيّاً، وفي روايات إثناعشر أميراً، وفي بعضها إثناعشر قيّماً، وفي روايات اثناعشر حجّة ... وهكذا تجمعهم كلمة قالها ﷺ : (كلّهم من قريش) وفي بعض تلك الروايات (انهم من بني‌هاشم).

وعن القندوزي بسنده عن سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي ﷺ فاذا الحسين عليه السلام على فخذيه وهو يقبّل عينيه ويقبّل فاه ويقول: أنت سيد، وأنت إمام ابن إمام، وأنت حجة ابن حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم.(٣)

---

(١) . ينابيع المودّة، باب ٧٧.

(٢). مسند ابن حنبل، ج ٥ ، ص ٩٩٢، حديث ٢٠٣٤٧ وسنن أبي داوود، ج ٤، ص ١٠٦، كتاب المهدي،حديث .٤٢٨١

(٣) . ينابيع المودّة ، ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

وروى القندوزي بسنده عن الأصبغ بن نباته عن عبدالله بن عباس، قال: سمعت رسول الله يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون.(١)

وروى القندوزي بسنده عن زيد بن حارثه قال: لمّا كانت الليلة التي أخذ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على الانصار البيعة الاولى قال: أنا آخذ عليكم بما أخذ الله على النبيين من قبلي أن تحفظوني وتمنعوني عماتمنعون أنفسكم عنه وتمنعوا علي بن أبي‌طالب عماتمنعون أنفسكم عنه وتحفظوه فانّه الصدّيق الأكبر يزيد الله دينكم وأنّ الله أعطىٰ موسىٰ العصا وابراهيم برد النار وعيسى الكلمات يحيي بها الموتىٰ وأعطاني هذا علياً ولكل بني آية وهذا آية ربي والائمة الطاهرون من ولده آيات ربي لن‌تخلو الارض من أهل الايمان ماأبقى الله أحداً من ذرّيته واحداً.(٢)

---

(١) . المصدر السابق.

(٢) . المصدر السابق.

التصريح باسماء الائمة الإثني عشر

جاء التصريح (باسماء هؤلاء الائمة) الأطهار في مصادر وروايات كثيرة منها :

أولاً : ينابيع المودّة للعلامة القندوزي الحنفي بسنده الى جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ :

«يا جابر ان اوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي اوّلهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم إسمه إسمي وكنيته كنيتي؛ محمد بن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى علىٰ يديه مشارق الارض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن اوليائه غيبة لايثبت على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للايمان.

قال جابر: فقلت يا رسول الله فهل للناس الإنتفاع به في غيبته؟

فقال ﷺ : أي والذي بعثني بالنبوة انّهم يستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن سترها سحاب، هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله.[1]

ثانياً : وروىٰ القندوزي بسنده عن مجاهد عن ابن‌عباس في حديث اليهودي (نعثل) الذي جاء يسأل النبي ﷺ عن أشياء منها قال:

---

(١) رواه القندوزي في ينابيعه، ص ٥٩٣ . باب ٩٤ نقلاً عن مناقب الخوارزمي.

... فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نـبي إلاّ ولـه وصـيّ وأن نبيّنـا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون، فقال: إنّ وصي علي بـن إبي‌طالـب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين.

قال السائل اليهودي : يا محمد فسمّهم لي.

قال صلى الله عليه وآله : اذا مضىٰ الحسين فإبنه علي، فاذا مضىٰ علي فابنه محمد، فـاذا مضىٰ جعفر فابنه موسى، فاذا مضىٰ موسى فابنه علي، فاذا مضىٰ علي فابنه محمد، فاذا مضىٰ محمد فابنه علي، فاذا مضىٰ علي فابنه الحسن، فـاذا مـضى الحسن فابنه محمد المهدي فهؤلاء إثني عشر.

قال السائل: أخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين؟

قال صلى الله عليه وآله : يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالـسمّ، والحـسين بالذبح.

قال السائل: فأين مكانهم؟

قال صلى الله عليه وآله : في الجنة في درجتي.

قال اليهودي: أشهد أن لاإله‌إلاالله وأنك رسول الله وأشهد أنهم الاوصـياء بعدك.[١]

ثالثاً: وروى القندي عن واثلة بن الاسقع بن قرخاب عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عدة مـسائل ثم قـال لـه: إني رأيـت البارحـة في النـوم موسـى بـن عمران عليه السلام فقال: يا جندل أسلم على يد محمد خـاتم الانبيـاء واستمـسك

(١) ينابيع المودّة، ص ٥٣٠.

بأوصيائه من بعده فقلت فلله الحمد أسلمت وهداني بك. ثم قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسّك بهم.

قال ﷺ: أوصيائي الاثني عشر. قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة، وقال: يا رسول الله سمّهم لي.

فقال: اوّلهم سيد الأوصياء أبو الائمة علي ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم و لايغرّنّك جهل الجاهلين، فاذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه، فقال جندل: وجدنا في التوراة وفي كتب الانبياء عليهم السلام ايليا وشبرا وشبيرا فهذه أسماء علي والحسن والحسين فمَنْ بعد الحسين؟ وما اسماؤهم؟

قال: إذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزين العابدين، فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق، فبعده ابنه موسى يدعىٰ بالكاظم، فبعده ابنه علي يدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والهادي، فبعده ابنه الحسن يدعىٰ بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعىٰ بالمهدي والقائم والحجة فيغيب ثم يخرج فاذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كماملئت جوراً وظلماً. طوبىٰ للصابرين في غيبته، طوبىٰ للمقيمين على حجتهم اولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب)، ثم قال تعالى: ﴿اولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم الغالبون﴾، فقال جندل: الحمدلله الذي وفّقني بمعرفتهم، ثم هامش الى أن كانت ولادة علي بن الحسين فخرج الى الطائف ومرض وشرب لبناً وقال: أخبرني رسول الله ﷺ أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف.[1]

---

(١) ينابيع المودّة، ص ٥٣١.

النص على إمامة (الائمة الإثني عشر)

ليس بعزيز على الباحث النزيه والمحقق اللبيب أن يقف على مصادر حديث (الائمة اثناعشر وكلهم من قريش) واليك قائمه نسرد لك فيها بعض مصادر علماء الجمهور التي روت هذا الحديث بلفظه أو مايقاربه.

١. مسند احمد بن حنبل، ج ٥ ، ص ٩٣، حديث ٢٠٣٤٧ و ٢٠٣٥٩ و ج ٥ ، ص ٩٧، حديث ٢٠٤١٦ و ٢٠٤١٧ و ٢٠٤١٨ وحديث ٢٠٤٥٤ و ٢٠٥٣٤ ينظر الصفحات ٩٢ الى صفحه ١٠٦.

٢. صحيح البخاري، كتاب الاحكام، ص ٩٣، باب ٥١ .

٣. صحيح مسلم، كتاب الامارة، ج ١٢، ص ٢٠٢، باب ١.

٤. سنن الترمذي، كتاب الفتن، ج ٤، ص ٤٣٤.

٥ . سنن أبي داوود، كتاب المهدي، ج ٤، ص ١٠٦، حديث ٤٢٨٠ و ٤٢٨١ وفي طبقة أخرى، ج ٢، ص ٢٠٩.

٦. المعجم الكبير للطبراني، ج ٢، ص ١٨٠١ و ٢٥٣، حديث ٢٠٥٩ و ٢٠٦٣ و ج ٢، ص ٢١٤، حديث ١٨٧٥، وفي طبعة أخرى، ج ٢، ص ١٩٥ و ٢٣٢ و ١٧٩١ و ١٧٩٥.

المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٦١٧.

٨ . صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، ج ١٢، ص ٢٠٣.

٩. صحيح ابن حبّان، ج ١٥، ص ٤٤.

١٠. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص ٩٥.

١١. أعلام الورى باعلام الهدى للطبري، ج ٢، ص ١٦٢.

١٢. مجمع الزوائد، ج ٥ ، ص ١٩٠.

١٣. البداية والنهاية لابن كثير، ج ٩، ص ٢٢٥.

١٤. فيض القدير (شرح الجامع الصغير للمناوي)، ج ٢، ص ٥٨٢ .

١٥. كنزالعمال، للمتقي الهندي، ج ١٢، ص ٣٢.

١٦. أضواء على السنّة المحمدية، محمود ابوريّة، ص ٢٣٣.

١٧. كشف الغمّة، للاربلي، ج ١، ص ٥٨ و ج ٢، ص ٣٠٨.

١٨. فتح الباري لابن حجر، ج ١٢، ص ١٨١ و ١٨٤.

١٩. تحفة الاحوذي، ج ٦، ص ٢٩١ و ٢٩٣.

٢٠. عون المعبود، للعظيم الآبادي، ج ١١، ص ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧ و ٢٤٨ و ج ١٢، ص ٢٦٠.

٢١. الاحاد والمثاني للضحاك، ج ٢، ص ١٢٦.

عزيزي القاري : نجمل لك (طرق الروايات) فيما تقدّم في حديث (أنّ الخلفاء، الاوصياء، الامراء، و ... وهم اثناعشر كلّهم من قريش) فكان عدد الرواة هم خمسة عشر كالآتي :

جابر بن سمرة السوائي، جاءت روايته عن خمسة عشر طريقاً، و مجموع الروايات فيه اكثر من سبعين رواية.

ابو جحيفة ؛ وهب السوائي

عبدالله بن عمرو

عبدالله بن عمر بن الخطاب

عبدالله بن عباس

عبدالله بن مسعود

أنس بن مالك

٨ . سلمان الفارسي

٩. عامر بن سعد

١٠. عبدالملك بن عمير

١١. سماك بن حرب

١٢. العباس بن عبدالمطلب

١٣. أبو هريرة الدوسي

١٤. عائشة بنت أبي‌بكر

١٥. أبو سلمة

هؤلاء الذين أحصيناهم، ومجموع الطرق لهؤلاء هو (مائة وأربع وعشرون) طريقاً.

عزيزي القاري : كلّ ذلك من كتب جمهور السُّنّة فحسب، واذا أردنا اكمال البحث من مصادر بقية فرق المسلمين لتعذّر احصاؤه لكثرتها وتعدد طرقها، فتدبّر فان الحق يعلو و لايُعلى عليه.

قال العلّامة سليمان القندوزي الحنفي : قال بعض المحققين : إنّ الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ إثني عشر قداشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أن مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الائمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته إذ لايمكن أن يحمله على الملوك الامويّة لزيادتهم على إثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبدالعزيز، ولكونهم غير بني‌هاشم لان النبي ﷺ قال: كلّهم من بني‌هاشم، في رواية عبدالملك عن جابر، وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجّح هذه الرواية لأنهم لايحسنون خلافة بني‌هاشم، و لايمكن أن يحمله على الملوك العباسيّة لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم للآية ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ﴾ ، وحديث الكساء فلابدّ من أن يحمل الحديث على الائمّة الاثني عشر من أهل‌بيته وعترته ﷺ لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عندالله...[1]

(١) . ينظر: ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٥٣٥، طبعة الشريف الرضي، قم.